
محمد
حياه
استشارة
في البَـلالاه
سلسلة
عازف البيانولا
١
روايات أسطورية.. تتجنب الواقع

سلسلة

عازف البيانولا (١)

رواياتٌ أُسطورية .. تتجنبُ الواقع

للكاتب

محمد حياه

إهـــداء

أُهدي تلك الروايـةَ إلى العقولِ التي تعاونـت معي في تشـكيلِ عقلي الأدبي.. أُهديها إلى الأقلامِ التي رسـمَتْ معي خُطواتي من الهوايــةِ إلى الاحتراف.. أعلمُ أن الطريقَ أمامي ما زالَ طويلًا.. ولكن كانَ يجبُ توثيق تلكَ الأعمالِ بعد معالجتِها حتى تليقَ بقارئِ اليوم، وهذا لا يقلّلُ مما فعلوه معي، لكنّي أردتُ أن أَثقِلَـهُ وأغلّفـهُ بغلافٍ يليقُ بمجهودِهِم معي ..

أتمنّى أن تكونوا نقّادي اللاذعينَ في الفترةِ القادمـةِ فأنا أحتاجُ إليْكُم

أشكرُكُم إخواني وأصدقائي وأساتذتي

أحمــد حســن

إســلام موســى

محـــي أحمـــد

محمـد محمـود

محمـد منصــور

أخوكم/ محمد حياه

المقدمة العامة

خلقَ اللهُ الكونَ يُكملُ بعضـــه بعضًـــا، على الرغمِ من اختلاف خصائصه، وله في ذلك حكمة، فلا يسودُ شيءٌ على شـــيء، ولا يصـــلُ شـــيءٌ إلى الكمال، فتجدُ الجنةَ والنار.. الشـــتاءَ والصـــيف.. الخريفَ والربيع.. الرجلَ والمرأة.. النهارَ والليل.. فلا يصـــلُحُ الكونُ بجزءٍ واحدٍ فقط، بـل يجـبُ أن يوجـدَ الجزءُ الآخر حتى يحـدثَ التوازنُ الكونيّ، كـذلـك الحزنُ والســـعـادة.. يجـبُ أن يوجدَ الحزنُ حتى تشعرَ بالسعادة.

وذلـك الـذي بين يـدك -عزيزي القـارئ- أقربُ مثـالٍ لذلك، فكُنْ من المُستمتعين بروايات البيانولّا.

الراوي: عازف البيانولّا

الأسطورةُ الأولـى

استشـــارة فـي البَـــلالاه

"الأسطورة الساخرة"

رواية بالعامية المصرية

الحلمُ هو الشيءُ الذي تتمنى تحقيقه.. والوهمُ هو الشيءُ الذي تؤمنُ بصعوبةِ تحقيقه.. والكابوسُ هو الواقعُ الذي يجبُ تصديقُه.. وما الدنيا إلا حلمٌ ووهمٌ... وشوية كوابيس فوق بعض

الشاعر البوهيمي

الشمسُ تُغازِل بأشعتِها على جبينِ كل من سلّمَ أمره لله وبدأ يومَه للذهاب لعملِه وأداءِ فريضةِ التلاحم والتزاحم بين خلق الله بعضهم بعضًا، فالكل أصيبَ بالعمى لا يرى إلا سبيله فقط، ورغم ذلك تسمعُ إبداعَ عود القصبجي خلف الست أم الكلثوم يأتي من نافذة رجلٍ مُسنٍ يستمتعُ بقراءةِ الجريدةِ المسائية ليوم أمس على تلك الأنغام، يداعبُ خصلاتِ شعرهِ البيضاء نسيمٌ عابرٌ خفيف، لكنه نسيمٌ رمادي اللونِ من أثر الأتربة المنبعثة من نافذة جارتِه في الطابقِ الأعلى، وهي تقومُ بعملِ تهذيبٍ وإصلاحٍ لإحدى سجاجيد شقتها بأشرس حالات السادية، مُمسكةً بـ"المِنفضة"، تلك الأداةُ التي غفلَ الأمير فلاد دراكولا عن استخدامِها في تعذيبِ أسرى جيشِ السلطان محمد الفاتح، تمسكها تلك السيدةُ فتعزفُ بها عزفًا إيقاعيًا منفردًا تنسجمُ له أُذناها، تلك الأذنُ التي لا تُترجِمُ استغاثات جارِها المسنّ بعد أن أفسدت صاحبتُها حالتَهُ المزاجيةِ في أثناءِ جلستِه الصباحية.

ووسط تلك السيمفونية يظهرُ صوتٌ في خلفية الأحداث، صوتٌ هادئٌ جميل لألة موسيقية تعزفُ نغمةً استثنائية، جذبت كلَّ من سمعَها ليتلفتَ باحثًا عن

مصدرها، ثم يظهرُ من بعيد رجلٌ يشارف على الستين من عمره بالكادِ يستطيعُ أن يقفَ على قدميه، يظهرُ بملبسِهِ القديم الغريب، يلبس بنطالًا أزرقًا من الجينز وقميصًا سبعيني المنظر ذو ياقةٍ كبيرة، مُخططًا بخطوطٍ عرضيةٍ وعليه سُترةُ عازفي الأوركسترا ذات الذيل الطويل.
الرجلُ يبتسمُ لكلِّ من حوله متمايلًا على أنغامِ ذلك الصندوقِ الأسودِ الكبير الذي بجانبه، المُميزِ بنقوشِ وجهِ طفلٍ مبتسمٍ وعيناه تلمعان من أثر دموعٍ يختلطُ فيها الفرحُ بالحزن، ثم تخطفُكَ يدُ الرجلِ وهو يديرُ ذلك المقبض الدائري الذي يبعثُ مزيدًا من الأنغام الرشيقة المبهجة، التفّ حولهُ الناسُ منقسمين بين مبتسمٍ سعيدٍ بما يسمع، وبين شاحبٍ يبحثُ بداخلِهِ عن ابتسامةٍ مزيفةٍ فلا يجدُها، ثم توقفَ الرجلُ عن إدارةِ المقبض فتوقفت معه الموسيقى وعم الصمت بين الناس، فإذا به ينظر في أعينهم ثم يقول:
"يسعد صباحك يا اللي ابتديت يومك بالحمد .. دا الحمد حروف بسيطة همك قدامها يتهد .. صباحك في كلمة .. صباحك في نعمة .. صباح خير عملته ونسيته .. وجاي يترد .. وعجبي، قولوا الحمد لله".

ردد الجميع وعلى وجوههم ابتسامة الرضا:

- الحمدلله

فأكمل حديثه قائلاً:

- أنا اسمي راوي هيثم رغاّي، شغلتي حكّاي على باب الله، واللي على باب الله يسعى، وأنا مش جاي أبيع الهوا ياللي مستغرب منظري، أنا ححكي حكايتي وأمشي ولا عايز منّك قرش ولا منِّك لُقمة، اسرح بخيالك معايا خلي خيالك هو صندوق الدنيا، أدخل جواه واتفرج على حكاياتي وانت بتسمع أنغام البيانولّا، حتفرق كتير صدقني، ويارب منها تستفيد وتفيد، خلاص مستعدين، قولوا أيوا.

رد عليه الجميع:

- أيوا
- تمام وقبل ما نبتدي الكلام ممكن نعمل موبيلاتنا سيلنت.

نفّذَ الجميعُ طلبهُ بعد دهشةٍ واستغراب، بدأ الرجل تحريكَ مِقبضِ البيانولّا لتكون خلفيةً موسيقيةً لحديثهِ ثم بدأ في قَصّ حكايته، فقال:

- "بعد السلامِ والصلاةِ على سيدِ الأنبياء، نبدأُ حكايتَنا من نهايتها، نعم نهايتها فلا تتعجبوا، ونهايةُ الحكايةِ كانت قبلَ أذانِ الفجرِ بنصفِ ساعة عندما استيقظَ

عمّ تواب المُفترشِ الرصيفِ منذ عقودٍ لا يتذكر كم عددها، استيقظ مفزوعًا من نباح الكلابِ حوله، أنيابٌ ترسمُ غضبًا ونهايةٌ محتومةٌ يسيلُ منها اللّعابُ مُشمئزًا مما رآه داخلَ هذا الفك، وكأن الكلابَ تعني بنباحها أن تقولَ له: "ابعد عن هذا المكان المقزز، هذا الرصيفُ وصناديقُ القمامةِ المتهالكةِ أصبحت من الآن ملكًا لنا، لملم عم تواب المسكين بقايا معطفِه المحروق، والذي يستخدمُه كغطاءٍ في هذا البردِ القارسِ، ويمدُّ يدهُ وعيناهُ ترتجفان من جحوظهما الشديد، وبينما هو خائف من لُهاث الكلاب من حوله، استطاعت يدهُ أن تمسكَ ببقايا عشائِهِ الباقي معه منذ أمس، قطعتينِ من الخبزِ المتعفّنِ وحقيبةٍ بلاستيكيةٍ يجمعُ فيها ما لا يعلمه ولا يفهمه أحدٌ غيره، وآخرُ شيءٍ يملكُه هو بعض الكتبُ التي يستخدمها كوسادةٍ له، لكنه يحتضن أحد هذه الكتب دائمًا لا يفارقُ يده، ويبدو أن هذا الكتاب له قميةٌ خاصةٌ لديه عن باقي الكتب.

استجمع قواه المتهالكة وقام وهو منحنٍ يُظهِرُ علاماتِ الاحترامِ والخوف لقطيع الكلاب الذي أصبح يتزايد ويقترب كل دقيقة، ظلَّ يتحركُ للخلفِ ناظرًا لهم لا يريد أن يعطيَهم ظهرهُ، إذ لا أمانَ لشيء في هذا العالم حتى لأوفى حيوان، هذا ما تعلّمه عم تواب من التشرد

المفروض عليه منذ زمن ليس بالقليل، وعندما ابتعد عن القطيع وجدَ كلبًا من الكلابِ ظنَّ أنه كبيرُهم، ثم اتضح له بالفعل من حركاته وإشاراته لهم إنه قائدهم، فهو يتقدمُهُم وحدهُ في اتجاه صندوق القمامة دون أن يتبعُه أي كلبٍ من القطيع، مما جعل عم تواب يراقبُ ما يحدثُ بفضولٍ مُفرط، حتى وجدَ الكلبَ يقفُ فوقَ كومةٍ معينة، ويغرس أنيابهُ بها فيجذب شيئًا ويحركه يمينًا ويسارًا يحاول أن يقطعَ شيئًا من جذوره، وظل الكلب القائد ينهشُ بعنفٍ حتى ظهر من القمامةِ شيءٌ بين أنيابه، اقتربَ منه عم تواب بخطواتٍ يملؤها الخوف وشدة الفضول، وكلما اقترب زاد فزعُه وتسارعتْ ضرباتُ قلبِه.

التقطَ الكلبُ بأنيابِهِ بأنيابِهِ يدًا بشريةً لجثةٍ بين أكوام القمامة، هُنا وضعَ عم تواب يدهُ على فمه محاولًا منعَ الصُّراخ داخله، ظلَّ الكلبُ "القائد" يجرُّ الجثةَ التي بدأتْ تظهرُ شيئًا فشيئاً، وإذا بها جثة شابٍ في الثلاثينَ من عُمره بجسدِهِ العاري الذي تلوَّن بكدماتٍ وجروحٍ متفرقةٍ ومتنوعة العمق والمساحة، أخذَ الكلبُ يعوي للقطيع لينقضُّوا معهُ على الفريسة، ما أبشعه من منظر، أنيابٌ تنهشُ في حماسٍ وسخونةٍ ونهم، وجسدٌ باردٌ مستسلمٌ في خضوع ذليل، لكن عم توّاب لم يستطعْ

أن يمنعَ صــرخته بداخله وذلك بعدما وجدَ باقي القطيع يكتشِــفُ في نفسِ كومـة القمـامـة عن جثتينِ أُخريين لشـــابين عاريين، ظلت الكلابُ تعوي على فريســـتها عواءً لم يعلُ على صراخِ عم تواب ودموعه المنهمرة"

ولكي تعلموا سر هذا المصيرِ البشع، دعوني أرجعُ بكم إلى ما قبل هذا الحادثِ بثلاثين يومًا، ولكن من منزلٍ في حي المُدرسين، عند دخولك إلى هذا المنزل تعلم أن من يسـكنهُ يرفع شـعار "القذارةُ من السُكّان"، أعقابُ السجائرِ لايخلو منها مكان في الأرض، الملابس تسكنُ الأركان، أكوامها القذرة تتسـلقُ الجدار وكأنها تنمو كزرعٍ خبيث، بقايا الأكلِ الذي أعلن انتهاء صـلاحيتِهِ منذ سنوات، تأخُذُ نَفسَك بصعوبة وكأنك داخل مقبرةٍ لم تُفتحْ منذ عقود. أصـحاب هذا العمل الحاصـلين على جائزة "أونكس" للقذارة هم كريم وهشام وعلّام. مسرح الجريمة هذا يملكه كريم، توُفّيَ ووالداه وتركا له من الميراث ما يكفيه ليبني به مستقبله، لكن شراهته للطعام تأبى على الميراث أن يفعل، فهو من أنصـار حكمة الشـاعر البوهيمي القائل: "وما نيل المطالب بالتمني.. ولكن تكفي أن تطلب الشـاورما"، يعشـقُ السـياسـة، ولطالما حلمَ بأن يكون كادرًا قياديًا في أحد الأحزاب بعد الثورة، ولكن حال الأحزاب حينئذ لم يتعدَّ أن يكون

مركزًا من مراكز الشـــبـاب الريفيـة والتي تسـتقبل اللاعبين تحت سن ٨٨.

يعيش مع كريم صـــديقا طفولته هشـــام وعلّام، يعمل الأولُ دكتور تحاليل في أحد معامل المســتشــفيات الحكومية، ويعمل الثاني محاسبًا بإدارة استاد القاهرة.
كان كريم يستمتع بنومه على أريكة الصالون ممسكًا ببقايا قطعة بيتزا، وباقي جسده على وضـعيةِ "روز" في فيلم تايتانك (مشـهد رسم لوحتها)، لا تعرف كيف وصـلَ جسدٌ بهذا الحجم إلى تلك الوضـعية، وقع من على الكنبة مفزوعًا بعد صراخة علّام وهو يقول:
- لقيتها خلاص .. لاقيتها.

يرد عليه كريم بعد أن انقض عليه وأمسك برقبته قائلاً:
- وأنا برضـــه لاقيتها، الفرخة اللي حكلها النهاردة، عشان تبقي تفجعني تاني وانت بتصحيني.

يدخل عليهم هشام وهو منزعج ويوبخهم:
- دي مش طريقة بنأدمين عايشين بجد، حد يعمل اللي بتعملوه ده، حرام عليكم.
- والله أنا زيي زيك يا هشـــام، الغبي دا هو اللي فجعني، بجد مش طريقة هزار دي يا علّام.

يفلت علّام من قبضة كريم محاولًا أن يعبّرَ لهم عن سبب هذا الانفعال الزائد:

- يا جماعة انتوا لو تعرفوا سبب هبلي دا حتعذروني، حاجة عمركم ما حتصدقوها أبداً.

يدخل علّام متقدمًا كريم وهشام بخطواتٍ ناحيةِ غرفتِهِ التي ينام فيها، ولكن بعد أن قدّمَ عرضًا منفردًا لباليه "بحيرة البجع" حتى يستطيع عبورَ أكوامِ القمامة والملابسِ التي تنبتُ من أرضيةِ الغرفة ليصلَ إلى حاسبه المحمول، وتبعه بنفس الطريقة هشام، بينما استخدم كريم أسلوبًا آخر ليعبرَ تلك الأكوام وهي طريقة "هرس البطاطس"، كانت قدمه تنغرس في تلك الأكوام وكأنه يعبر بِركةً موحلةً عميقةً في أرض زراعية.

جلس علّام على الأريكة وحوله هشام وكريم، ينظران لشاشة حاسبه المحمول منتظرينَ أن يعرفا سببَ كل مافعلهُ علّامُ بهم، لكن صبر كريم على الانتظار قد نفد، وإذا به يرفع يده ثم ينزلها على رأس علّام وهو يقول:

- لقد نفذ رصـــيد صـــبري عليك، إيه اللي لاقيته وصدعتنا بسببه؟

رفع علّام رأسه من على حاسبه المحمول بعد أن ارتطم أنفُهُ بلوحة المفاتيح وكأنه دجاجةٌ تأكلُ من قمحِ الأرض، أمسكَ بأنفِهِ ناظرًا إلى كريم المبتسم وقال:
- أنا مش عايز أمد إيدي.

فردّ له كريم النظرة بغضبٍ فوجد علّام يُلحِقه بالقول:
- أنت حتصدق شوية هرمونات جراءة تافهة سيطرت عليا لمدة فمتوثانية، أنت أكبر من كده.

استغربه كريم، فانفجر الاثنان ضحكاً، حتى قاطعهما هشام وهو يقول:
- ممكن كفاية هزار لأن دمك تقيل، وتقولنا إيه سبب الدوشة اللي عملتها دي على الصبح يا أستاذ علّام.

ثبتَ علّام على حاسوبه واعتدل في جلسته وبدأ الحديثَ قائلًا:
- في قبيلة بتسكن بالقرب من نهر الأمازون في البرازيل، اسمها "الأمونشاوا" ودول يعتبروا برة خريطة الزمن، حتى في لغتهم مافيش كلمات عن الزمن سواء كان يوم أو شهر أو سنة، بعد وفاة زعيمهم بيسيبوا جثته مكانها، وأول ما يبدأ دود الأرض ياكل فيها، اللي هي بالمعني الصحيح عندنا

بعد حوالي ٤٠ يوم ساعتها بيحرقوه، ويوم وفاته بيعملوا طقوس بشكل معين حوالين تمثال زعيمهم اللي اتعمله أول ما مسك الحكم زمان، الغرض من الطقوس دي إنهم بيقدروا يرجعوا روح زعيمهم في التمثال دا عشان يختار مين يمسك بعده حكم القبيلة، لإن الحاكم مش بيعلن اسم ولي العهد عشان ماتحصلش أي اغتيالات سواء للحاكم من ولي عهده عشان يفوز بالسلطة بشكل أسرع أو من منافس لولي العهد بسبب الغيرة والحقد، لإنهم مقتنعين إنه لو تم الإعلان عن ولي العهد أو إنه يكون إلزام دايمًا الابن الكبير زي ما موجود في أماكن كتير دا بيرفع نسبة اغتيال الحاكم للفوز بالسلطة لصالح ولي العهد المعلن.

أما بالطقوس دي لو تم عملية اغتيال الحاكم فبرجوعه حيعلن عن اسم اللي اغتاله، وبالتالي عمره ما حينول الحكم، وشايفين إن الموت أو "الغادر" زي ما بيسموه بيجي في وقت غير مناسب ولازم الحاكم اللي بترجع روحه في تمثاله يختار اللي حيخلُفُه في الحكم قبل بداية تحلل جثته وانتهاء مدة حياته الثانية، لأن ظهور دود الأرض في جسده دا معناه بطلان التعويذة، ولما يختاره وتنتهي المدة المحددة للتعويذة

يتم حرق جثته وتكسير تمثاله اللي عاد لطبيعته مرة تانية بعد بطلان التعويذة، لتبدأ بداية عهد جديد بحاكم جديد وبتمثال جديد ينتظر استيقاظه يومًا ما.

رد هشـــام وملامحه تعلن التعجب والاســـتغراب مما سمعه:

- أسطورة غريبة بس عايز توصل منها لإيه؟
- بصـــوا يا جماعة كل واحد فينا عايز البلد دي تبقى أحســـن، ودا طبعًا باللي إحنا شـــايفينه تعتبر كلها طموحات وأماني وآخرها حتســـمعها في شـــوية الأغاني، أنا عارف إنكم شايفيني تافه.

رد كريم مازحًا وهو يشير له بكلتا يديه:

- إحنا مش شايفينك تافه .. إحنا مش شايفينك أصلاً.
- هههههه .. متشـــكر يـا أســـتـاذ كريم على الكومبوليموز بتـاعك .. وبرغم إن مـاحـدش يتوقع مني الكلام دا إلا إني لقيـت حـل إن البلـد دي تبقى أحسن وأقوى دولة في العالم.

ينقضُّ عليه كريم فيمســكُ رأسَـــهُ ويفتحُ فمه مقتربًا منه ويقول:

- تعالى وريني شارب إيه على الصبح؟

لكنه ابتعد نافِرًا من رائحة فمه ثم يقول له وهو يسعل بشدة:

- انت دافن إيه جوه؟ أصل دي مش ريحة بؤ كائن بشري.

يمسك علّام فمه وهو ينظر لكريم بنظرة تعالي وغرور قائلًا:

- ريحة بوئي؟! .. أنت تعرف تاكل اللي أنا واكله أصلًا!!
- واكل إيه؟ .. جيفة؟
- لا واكل ساندوتش عِجة بالبولوبيف والبتنجان، الساندوتش دا حصري عند سلطان الطلب، الرغيف الحريف، حكمدار الفول، مطعم عبده كعبول، وزي ما قال شاعرك البوهيمي " عشق الفول مالوش أخر .. لكن لو عليه بتنجان كلام تاني".

يقوم هشام من جلسته غاضبًا وهو يقول:

- شكلكم فايقين وطالبة معاكوا هزار

يمسك علّام يد هشام ويجذبه ليجلس مرة أخرى.

- أقعد يا دكتور هشام .. والله الموضوع جد

وهنا أمسكَ علّام حاسبهُ المحمول وضغطَ على ملفٍ ما لتبدأ أغنيةٌ غربيةٌ بصوتِ حاد لسيدةٍ لهجتها غير مفهومة، تعزفُ حولها ألاتٌ قديمة، وعندما انتهت الأغنيةُ سارعَ علّام بإكمالِ حديثهِ قائلًا:

- فاكرين فيلم فهمي وهشام وشيكو؟ الحرب العالمية الثالثة؟

رد عليه هشام قائلًا:
- آه عارفهم، مالهم دول بكلامك والأسطورة الغريبة دي وحال البلد؟ أنا حاسس إننا داخلين على عك واضح.

يبتسم علّام وهو يقول:
- لا عك ولا حاجة، الفكرة اللي هما اعتمدوا عليها واللي هي أصلًا منحوتة من فيلم " Night of The Museum"، أنا كنت بدور على أصل الفكرة دي في أساطير وقصص كتيرة في كذا دولة سواء كانت حقيقة أو خرافة كنت بدور على أي خيط أمشي وراه، إزاي يبقى في تعويذة تخلي روح متوفي تلبس شيء صامت جامد زي التماثيل ويتحوّل

لشيء شبه حي.

يقفُ كريم منفعلًا كاتمًا غضبهُ ثم يقفُ هشام وهو يقول له:

- أنا كنت حاسس إننا داخلين على عك، وياريته وصل للعك بس، إيه الهبل اللي أنت بتقوله ده؟

ينظر لهما علّام وهو جالسٌ مكانهُ ويقول:

- أنا فعلًا لقيت أصل الأسطورة دي ومعايا التعويذة فعلاً، وهي تعويذة قبيلة "الأمونشاوا" اللي حكيتلكم عليها، حنطبقها على أكتر الشخصيات قيادة وذكاء وحكمة عرفهم التاريخ قدرت تحل أزمات زي اللي احنا فيها، حنعمل تماثيل ليهم ونقرى عليهم التعويذة ونعمل بيهم مجلس إستشاري يفيد حكومتنا، ويحطوا الخطوط العريضة لتحسين حال البلد، وبكده نبقى جربنا تجربة محلية نجحت فعلًا في التنفيذ مش نظريًا بس.

نظرَ له هشام وعلى وجهِهِ ملامحُ عدمِ تصديقِ ما يقولُه:

- إنت ازاي تصدق في الخرافات دي وتقتنع إنها صح أصلاً؟

- إنت بتقول خرافة وكلام فارغ صح! حتخسر حاجة لو جربنا؟

نظر له هشام صامتًا حتى جاوبَهُ علّام قائلًا:
- أكيد لأ، لو التجربة نجحت أدينا قدرنا نوفر أكبر مجلس استشاري صاحب خبرة ونجاحات عرفته مصر على مر التاريخ الحديث، ولو فشلنا يبقى الحال على ماهو عليه وعلى المتضرّر اللجوء إلى السماء، وندعي بقى كلنا ربنا يصلح حال البلد، زي ما احنا بقالنا سنين بندعي.

نظر هشام إلى كريم الذي كان يفكر فيما قاله علّام وسار عدة خطوات ذهابًا وإيابًا في الغرفة و ينظر بين الحين والآخر إلى علّام الذي يتابعه ويتابع كريم قلقًا منتظرًا ردَّهم، حتى قطع كريم هذا الصمت قائلاً:
- أنا موافق على الفكرة المجنونة اللي خارجة من هذا الشيء.
فقفز عليه علّام صارخًا يقول:
- حبيبي يا كيمو، أيوة كده، وأنت يا هشام أكيد معانا بقى؟
- موافق، بس عندي كام سؤال لازم أعرف إجاباتهم

وقفَ علّام على الأريكةِ وهو يقفزُ فرِحًا بموافقةِ هشام أخيرًا وقال:

- أنا تحت أمرك في أي سؤال.
- أولًا الخرافة اللي أنت قولتها مربوطة بعمل تعويذة لتمثال شخص لسه متوفي عشان ترجع روحه في كيان ثابت اللي هو تمثال وتعيش لحد ما الجسد ما يبدأ في التحلل بعد ٤٠ يوم.. صح؟
- صح

فأكمل هشام سؤاله والشك يملأ عينيه:

- يبقى إزاي حنستفاد منها أصلًا والأشخاص اللي احنا ممكن نحتاجهم ماتوا واتحللوا من سنين؟

نظر كريم لهشام ومال برأسه موافقًا على هذا السؤال، ولكن كانت ابتسامة علّام هي البداية لإجابته وكأنه كان يتوقع السؤال:

- طبعًا النقطة دي معدتنيش، ولما بحثت في الموضوع دا عرفت إن التعويذة حتتم بنفس ترتيب خطواتها عادي في استدعاء روح ماتت من فترة طويلة، لكن بتقل فترة صلاحية التعويذة في الحالة دي للنص يعني حتعيش الروح حوالي ٢٠ يوم بس.

نظرَ كريم لهشام مستغربًا ما قاله علّام ثم ردَّ كريم مُستفهمًا:

- هي فين التعويذة دي أصلاً، يا أستاذ ساهساهومي ابن كعكع ملك الجان؟ يا خِطِر انت!!

أكدَّ هشام سؤالَ كريم بقوله:

- صح يا كريم دا كان سؤالي التاني.

نزلَ علّام من على الأريكةِ ثم جلسَ مرةً أخرى وأمسكَ حاسوبَهُ ثمَّ نظرَ لهُما مستغربًا وهو يقول:

- مانتوا سمعتوه؟

نظرَ له كريم وهشام مندهشَيْنِ في حالةِ صمت، ثم قالوا في صوتٍ واحد:

- الأغنية؟!

قال علّام مبتسمًا والبلاهة عنوان وجهه

- آه، هي التعويذة، بس مش بنفس الطريقة اللي سمعتوها من شوية.

أمسكَ هشام بكتفِ كريم ليترك علّام ومالَ برأسه طالبًا منه أن يتركَهُ من أجلِهِ، ثم سأله هشام وهو يحاول أن

يتمالك أعصابه:

- يعني إيه؟ إخلص.
- المطربة اللي سـمعتوا صـوتها دي من نفس قبيلة "الأمونشـاوا" ووظيفتها إنها تحافظ على التعويذة وسرها، ومكانش قدامها غير إنها فكرت في طريقة جديدة عكست كلمات التعويذة عشـان تبقى أغنية وبتغنيها بشـكل عكسـي، نفس الفكرة اللي أخدها مصطفى قمر في تصوير أغنية منايا، بالشكل دا هي حافظت على سريتها، وهدفها اتحقق بالأسلوب دا عشان التعويذة تفضل موجودة وتعيش أكتر لكن اللي يعرف سـرها مش كتير، وأنا بمجهود وبحث عرفت أوصـل للسـر ده، وأنا عندي البرنامج اللي يقدر يرجعها تاني لأصلها، وزي ماقولتلكم ونخليها شـعارنا في الفكرة دي "إحنا مش حنخسـر حاجة"، ها.. اقتنعتوا؟

نظرَ له كريم وهشـام ومالا برأسـهما بالموافقة فأكملَ علّام حديثَه:

- دلوقتي لازم نحدد الشـخصـيات التاريخية اللي حنعملها تماثيل وحاتكون أقوى مجلس استشاري في تاريخ البلد دي.

هُنا قاطعَهُ هشام بحدّة:
- قبل ما نحدد الشخصيات لازم نحدد الملفات اللي في أولوية احتياج البلد لمجلس اســـتشـــاري يحلها لأن الملفات كتير ولازم نختارها بالأولوية.

أمسكَ كريم بكتفِ هشام معبرًا له عن استحسانِ ما يقول:
- انت صح يا هشام، أنا شايف إن الملف السياسي من أقوى الملفـات اللي محتـاجـة لحـل هو والملف الاقتصادي.

نظر له هشام وقال متابعًا:
- معاك جدًا بس ملف التعليم وملف الصــحة مايقلوش عنه أهمية على فكرة.

كـان علّام يتـأملُ حـديثَهُم واقتنـاعَهُم بفكرِتِـه وأرادَ أن يضيفَ لهم:
- وماتنســـوش الملف الأمني والملف الرياضـــي، أنا شغال في حسابات استاد القاهرة وأكتر واحد لامس الموضوع دا كويس.

جلسَ هشـــام على الأريكةِ وأخرجَ قلمه ودفترهُ الطبي الخاص، وبدأ في تدوين ما اتفقوا عليه وهو يقول:

- معنى كده إننا عندنا ٦ ملفات هما الملف السياسي والاقتصادي والصحي والتعليمي والرياضي والأمني .. تمام؟

فرد عليه كريم وعلّام
- تمام.

أكمل هشام حديثه وهو ينظر للاثنان في حدَّةٍ وقال:
- ست ملفات، يعني عايزين ست شخصيات قدروا يحلوا الملفات دي في زمنهم وزي ما نجحت معاهم ممكن تنجح معانا، دا لو اقتنعنا بفرضية أستاذ علّام، فكروا كويس في الشخصيات اللي حنحضرها هنا لمدة ٢٠ يوم، بس لازم يكونوا قادرين على حل الملفات دي أو على الأقل يرسموا الخط الصح لحل المشاكل دي، كل واحد يفكر إيه الشخصية المناسبة للملفات اللي اقترحها.

ظل الثلاثة صامتِين عدة دقائق حتى كسرَ كريم الصمتَ بقولِه:
- أنا اخترت للملف الاقتصادي "محمد على باشا"، وخلاص عرفت مين اللي حيمسك الملف السياسي.

جذبَتْ جملةُ كريم انتباهَ كلٍّ مِن هشام وعلّام وصمتا

ليعرِفا ما هو اختياره، حتى قال:
- "الزعيم محمد أنور السادات".

نظرَ هشام له موافقًا على اختياره ثم قال مؤيداً:
- اختيار ممكن يكون فعلًا الحل للملف السـياسـي، أنا برضـه وصـلت للشـخصـيتين اللي حيقدروا يمسكوا الملفين اللي معايا.

التفت له كريم سائلاً:
- مين يا هشام؟
- اخترت لملف التعليم "الدكتور مصـطفى مشـرفة" وللملف الصحي "الدكتور مصطفى محمود".

أثار اختيارُ هشـام للشـخصـياتِ إعجابَ كريم، ثم التفت هما الاثنان لعلّام مسـتغربيْن صـمتَهُ غير المعتاد، فحاولَ كريم أن يخرجَهُ عن صـمته بضـربةٍ على كتفِهِ وهو يقول:
- هو أنت حمّسـتنا على الموضـوع وفي الأخر حتنام انت.

فنظرَ لهُ علّام ثم بعُد عنهما خطوتين وقال:
- الشـخصـيات اللي فكرت فيها غريبة شـويتين عن

الشــخصـيات اللـي فكرتوا فيهم انتوا، بس أنا شــايف أنـهم فعلًا حل برة الصندوق ودا ميزتـه.

ابتسم هشام له وهو يقول:
- قول يا عم وربنا يستر من دماغك.

فنظرَ لهما علّام آخذًا نفسًا عميقًا ثم قال:
- أنا شايف إن اللي يقدر يحل الملف الرياضي هو...

صمتَ قليلًا ورجعَ للخلفِ خطوةً خوفًا من ردِّ فعل كريم، ثم أكملَ حديثَه متردّدًا
- هو... " صالح سليم "

ثمَّ نظرَ إلى هشام الذي فاجأهُ بموافقته على اختياره وفزع عندما وجد يد كريم تشيرُ إلى رأسِهِ وهو يقول:
- طب ما الصفيحة دي فيها جراثيم أفكار حلوة أهيه، لا بجـد فـاجئتني، هـاه مين بقى اللي اخترتـه للملف الأمنـي؟

بعـد أن أبـدى علّام ارتيـاحَـهُ لردِّ فعل كريم ومِن قبلِـهِ هشـــام، فعاودتهُ مخاوفَه من ســؤالِ كريم عن اختياره الثـاني، ولكنّه شــعرَ بأنّهُ يقللُ من نفسِــه ويجب عليهِ إن

يجيبَ بكل شجاعةٍ وثقة، أخذَ يرسُمُ على وجهِهِ ملامحَ الحزمِ وهو يقول:

- أنا شايف إن الشخصية اللي تمسك الملف الأمني هو "رياض القصبجي".

وقفَ هشام من جلستِهِ وتحركَ ناحية علّام وأشار لكريم بأنْ يصمتَ، وعندما اقترب من علّام مال برأسِهِ ناحيته وهو يسأله بصوتٍ خافضٍ متّزن:

- انت قولت اختيارك للشخصية اللي حتمسك ملف مصر الأمني، رياض القصبجي؟ أنا سمعت صح؟

فنظرَ له علّام الذي استغرب ردّ فعل هشام بشكلٍ خاص، ورد عليه بصوتٍ مرتعش:

- أه .. رياض القصبجي.

التفت هشام لكريم وهو يقول له ساخرًا:

- الأستاذ شايف إن حل مشكلة الأمن في مصر "الشاويش عطية"، كريم قدامك ٥ دقائق وتخلصني من غباؤه.

فانقضَّ كريم على علّام ممسكًا رقبته وهو يقول:

- ليه ٣ دقائق؟! كتير عليه، هما ٢٠ ثانية كفاية.

كان علّام في وضــع التنجيد تحت كريم وكأنّهُ ممســكٌ بوسادةٍ قطنيةٍ تحتاجُ الكثير من الضرب لإنعاشِها وبثِّ الحياةِ فيها مرةً أخرى، وعلّام يحاولُ الفرار من كريم ولكنّه يُعتبر الآن غارقًا في بحر الرمال الأعظم فلا مفرَّ، وعندما شعر بأنه في طريقٍ مسدودٍ حاول إقناعهم باختيارهِ وهو يقولُ صارخًا:

- يا جماعة إدوني فرصة أشرح وأفهمكوا ليه اخترته هو بالذات، هو فرد الأمن الوحيد الذي اكتملتْ فيهِ المواصــفاتُ المطلوبة، شــرطيٌّ منضــبط، مُحِبٌ للخير، لا يخالفُ رؤســاءه، يعرفُ أن خدمته للمواطنِ هي خدمةٌ للوطن، لا يتهاونُ مع أيِّ لص، أمينٌ وليسَ مرتشيًا.

أفلته كريم من يديه وجلسَ بجانبِهِ ينصــتُ له وهو يحاولُ أن يتنفسَ ليكمِلَ حديثَه:

- أجيب منين حد فيه كل المواصــفات دي في التاريخ غيره، حد يقولي؟ واحد من برة الصـندوق من زمن الشــرطة الجميل، أيام ما كانت الشــرطة في خدمة الشعب بجد.

نظرَ هشام لكريم ولعلّام مستعجبًا ثم قال:

- رغم إن اختيارك تحســه إنه ألش مش أكتر لكن

كلامك أقنعني بنســبة مش قليلة، وإحنا كده كده مش حنخسر حاجة على رأي شعارك.

قام كريم بعدَ أن اســتند على علّام الصــارخ من وزنِهِ المثقلِ عليه وبعد أن وقفَ مد يده لعلّام المســتلقي على الأرض ليساعدهُ على القيامِ وهو يقول:

- يمكن يكون هو فعلًا الحل، واللي تخاف منه مايجيش أحسن منه.

نظرَ علّام لكريم في ثناءٍ وهو يقول:

- شــكراً، عشــان اقتنعت بكلامي وســبتني في وســط كلامي عشان أكمل وأشرح بشكل أحسن.

تعالتْ من كريم عدة ضحكاتٍ ثم قال:

- اقتنعت؟ .. أنا؟ .. لا خالص .. أنا ســيبتك عشــان الكلمتين الفصحى اللي دخلوا في وسط كلامك مش أكتر، قال إيه مرة واحدة بدون ســابق إنذار لقيتك اتحولت وقُلت: "هو فردُ الأمن الوحيدِ الذي اكتملتْ فيه المواصــفاتُ المطلوبة .... " لا وهريت بعد كده كتير، ماكنتش فاهم إيه اللي دبلجك فجأة هههه.

رد عليه علّام ضاحكًا

- أنا مش عارف هي قلبت مني كده ليه مرة واحدة بس لاقيتها ماشية مافيش مشاكل، هي المسلسلات التركية اللي بوظتنا، كنت خايف أقولك في الأخر " اتركني خانو راح أأوصلك".

ضحِك الجميعُ وجلسَ هشام مرةً أخرى ليدوّنَ الأسماءَ التي تمّ اختيارها أمام أسماء الملفات التي كان قد دوّنها من قبل، واتفقوا على أن يوزعوا على بعضهم المهام المطلوبة لتلك المهمة، ويكون هذا الموضوع هو سرّهُمُ الأكبر حتى يحينَ موعدُ الإعلان عنه.

******

مرّ أكثرُ من ثلاثة أســابيع على الاتفاقِ الثلاثي، وعثُر بالفعلِ هشـــام على نحاتٍ متميزٍ يُدعَى "ســمير" كان رفيقه في المرحلة الثانوية، وكان فنانًا بحق، لكنه لم ينجحْ في اختبارِ القدراتِ لدخولِ كليةِ الفنونِ على الرغم من أنه هو بنفسه من أنهى تصميمَ زميلِهِ بعد أن انتهي من تصـــميمِهِ الخاص قبل موعد زمن الاختبار، لتظهرَ النتيجةَ بإعلان نجاح زميلهِ ورسوبِه هو، فتأتي الرياحُ بما لا تشتهي السفن، أو بمعنى أوقع "الكوسة"، وكان تنسيقُه منصِفًا كعادتِه دائمًا رغم نسبة الإعاقة في نظامِ هذا التنسيق، فلقدْ قُبل في كليةِ آداب القاهرة بقسمِ المكتبات، ورغم ذلك فقدْ تحدَّى ظروفَهُ وحظهُ الســيء ونظام "صفاية الكوسة المستبدة"، وأصبح أشهر نحاتٍ في جيلِهِ يقومُ بعملِ مشـــاريعِ التخرجِ لطلبةِ كلية فنون جميلة من الباطن، له مركزهُ التدريبي الخاص الذي يزوره هشام بين الحينِ والأخر.

اتفقَ هشـام معَهُ على أن يقومَ له بنحتِ التماثيلِ الستّة، وبالفعلِ أنهاهُم بمهارةٍ كأنّهم أجســادٌ تنبضُ تحت طبقةٍ صلبة.

- يخرب بيتك يا ســمير دول بشـــر مش تماثيل، كل

التفاصـــيل موجودة ، فعلًا أنت جوهرة وإيدك دي تتلف في حرير.

- هههههه ربنا يكرمك يا هشـــام دا من ذوقك، كما قال الشــاعر كريم صـــاحبك الشـــاعر البوهيمي: "المتميز في البلـد دي آخره يتميز في الشِـــمال، وعلاقته بسلم المجد والنجاح إنه تحت منه شغال".

ضـحكَ هشـام ضـحكةً بائسـةً على قول سـمير فهذا هو الهَمّ المُضـحك، وقد أتم سـمير تلك المهمة في ورشـةٍ مهجورةٍ خلف أرضِ الخصـــوص، كـان قد قـام علّام باســتئجارها من زميله الذي يعمل في صـــيانة مقاعد الاســـتاد، وبأموال كريم كان كل شــــيءٍ يُنجزُ بإتقانٍ وسـرعةٍ وكما قال الشـاعر البوهيمي: "معاك فلوس .. على البنزين دوس".

واستطاع كريم الاتصـالَ بصديقِهِ "نبيل"، والذي يعمل في شـركة "تاتا تاتا" لخدمات النت، ورغم عبقريتِهِ في مجالِ الحاســبِ الألي وتكنولوجيا المعلومات، لم تكن الوظيفةُ على هذا القدرِ من الموهبةِ، لكن رؤيةَ الشركةِ المحدودةِ لم تصـــل إلى هذا المســتوى، وإنما رأتْ أن توظفَهُ كفني دعم بإحدي فروعها لتكون وظيفتَهُ عبارة عن ورقة أمامه بأســئلة نموذجية لإجابات نموذجية

تنتهي بالحلّ السحريّ غيرِ المتوقع وهو الاقتراح الأشهر: "ممكن حضرتك تقفل الراوتر وتشغلُه تاني؟!"، وتلك قاعدةٌ سحريةٌ مصريةٌ عريقة تحُلُّ جميع المشاكل، اغلق الشيء ثم أعِد فتحَهُ مرةً أخرى لترى المعجزةَ اللولبية في إصلاحه، وحتى إذا مرضتَ صحيًا فالحلُّ حينئذٍ يتلخصُ في: "نام وادّفَى وانت حتصحى زي الفل".

وكان الإتفاق بين كريم وصديقِهِ مبنيًا على عملِ قرصنةٍ على إحدى القنوات الكبيرة لإذاعةِ فيديو إعلاني عن الفكرة مدتُه دقيقةٌ واحدة ثم العمل على تسويقِ وانتشار هذا الفيديو على مواقعِ التواصلِ الاجتماعي بشكلٍ كبيرٍ وسريع، فكان رد نبيل على هذا العرض أن قال:

- والله الواحد مخنوق يا كيمو وعايز يتسلى شوية ويفضي دماغه من الروتين اللي واكل عضم الواحد، بس الموضوع حيتكلف شويتين.
- مايهمكش حاجة يا نبيل اللي أنت عاوزه مش حنختلف بس ماقولتليش عاوزه كاش ولا بلاش، وأحولهولك على بنك الهِس بِس (HSBC) ؟!
- هههههههه لا خليها كاش.
- عندك حق يا بلبل، كما قال الشاعر البوهيمي:

"الكاش انتعاش".

- هههههههههه مالكش حل أنت يا كيمو، معادنا امتى بإذن الله؟
- بكرة الساعة ٨ حنتجمع كلنا، تمام؟
- تمام.

أنهى الثلاثةُ المهامَ الموكلةَ لكل فردٍ فيهم، جهّزَ علّامُ المكان لتنفيذِ العملية، وأحضرَ هشامُ النحات الذي أنجز مهمته بشكلٍ كبير، وأحضر كريم المقرصن الإلكتروني، واتفقوا على أن تبدأ أولُ خطوةٍ من خطتهم غدًا في تمام الساعةِ التاسعةِ بعد أن يسجّلوا أول فيديو عن تلكَ الفكرةِ، واجتمعوا على ذلك ليلًا داعينَ اللهَ أن يوفقَهم بعدَ أن تناولوا وجبةَ العشاء وذهبَ كل فردٍ منهم إلى فراشِه، عدا كريم الذي كان ينتظرُ عاملَ الديلفري ليحضر له وجبةَ العشاءِ الثالثةِ فهو يدرك أنه سوف يدخلُ على مرحلةٍ تحتاج للتركيز والتفكير وهو ينفذ ما يحتاجُه جسدُه بلا شك، فمبدؤه في مثل تلك المواقفِ مبدأ الشاعر البوهيمي القائل: " التفكير .. خسّسنا كتير"، وهو يريد أن يحافظ على رشاقته البلونية.

وتمر الساعاتُ سريعًا، ويأتي الغد لتنفيذِ أولِ خطوةٍ في الخطة الموضوعة، يجلسُ هشام وسمير أمام التماثيلِ

الستة التي طلب هشام أن تُغطَّى بغطاءٍ كبير، فلقد أراد أن يعطي سمير حقَّه في إبداعه عندما يرى انبهار زملائِه من روعةِ نحتِه وتمكنِه من موهبتِه، ولقد أخبره بما ينوّن على فعله فكان رده:

- على رأي صاحبك علّام مش حنخسر حاجة، ماهي خربانة بخرسانة، أدينا بنحاول وبنعمل اللي علينا، أنا معاكوا وموافق جداً.

يدخل كريم ومعه نبيل وهو يسرع قليلًا في خطوتِهِ ويقول:

- ماتقولش متأخر والكلام دا أنا يدوب أكلت في السكة وجبة كنتاكي خفيفة.

ينظر له نبيل مندهشًا وهو يقول:

- خفيفة؟! .. أنا أول مرة أشوف حد بيدور على أكل لنفسه في الوجبات العائلية وياريته بيطلب منها وجبة لا ممكن اتنين وتلاتة ، أنا أسف يا جماعة مسلمتش عليكم.

قالها نبيل لهشام وسمير محاولًا الاعتذار عن حديثه المفاجئ دون أن يتعرفَ عليهِم ويرحبَ بهم ولكن أسعفَه هشام بالرد:

- لا ولا يهمك دا كريم، العادي بتاعه يخليك تطق من جنابك وتحس إن مش أبوه وأمه الله يرحمهم هما اللي سمُّوه كريم، أنا شاكك إن بطنه هي اللي سمته كريم من كُتر الكرم اللي بيعمله معاها، صاحب واجب يعني.

ينظر له كريم مستخفًا بمزاحه ثم يقول له:
- في خفيف تاني حيقِب على الميّا ولا دا آخر واحد، معلش يا فنان بيحبوا يعيشوا عيشة العوّامات وكدا.. خُفاف أوي، أخوك كريم.

قالها كريم وهو يمُد يده ليصافحَ سمير الذي كان يقف صامتًا يرسم ابتسامةً فقط على ما يسمع، وهو ما جعل هشام يتقدم ليعرّفَ نفسه لنبيل قائلاً:
- وأنا الدكتور هشام صاحب كريم منذ سِمنةِ أظافره.
- وأنا الباشمهندس نبيل صاحب كريم من ٥ سنين وشغال في الدعم الفني في شركة "تاتا تاتا".

ينظر كريم لساعته وهو في عجلة من أمره ثم يقول:
- أنا متأخرتش يا عم الساعة سبعة وخمسة بس أنا جاي بدري أصلا، أومال فين أبو دماغ صفيح

صاحب الليلة دي، فين علّام؟

فيجاوبه هشام مستغربًا:
- مش عارف اتأخر ليه.
- ماتقلقوش يا جماعة الغايب حجته معاه.
كان هذا رد نبيل عليهم ليطمئنهم قليلًا، ولكن لم يطُل الانتظار كثيرًا، وذلك بعد أن لاحظوا صوت سيارة تقف خارج الورشة ويُقفل بابُها وصوت علّام يصيح في السائق قائلًا:
- ثواني حشوفلك جوه.

وبالفعلِ يدخل علّام مسرعًا تظهر على ملامحِهِ علاماتُ الغضبِ يحملُ حقيبةَ حاسوبه المحمول وحقيبةً كبيرة بها سماعات صوت وسماعات رأس، يرمي ما يحمله على الأرض أمام كريم ويقول له وهو في عجلة من أمره:
- هات ٥٠ جنية بسرعة يا كريم.

فيحاول أن يمازحه كريم قائلًا:
- ليه إن شاء الله .. مراتي؟!

لم تنجح تلك المزحة مع علّام في هذا الوقت فيرد عليه

غاضباً:
- مش وقته يا كريم السخافة دي، بتاع أوبر واقف برة ومامعاهوش فكة ولا عاوز ياخد الفلوس اللي معايا عشان فيها ٢٠ جنية ملزوقة.

يضحك له كريم مستخفًا به وهو يخرج له المال:
- خد الــ ٥٠ أهُم، راكب أوبر يا علّام، أوبر يا علّام، الله يرحمه لما اتهور وساق الحمار من غير نمر.

يخرج علّام مسرعًا ليدفع للسائق باقي أجرتَه وسطَ ضحكاتِ الجميعِ على ما قاله كريم، ثم يعود لهم وما زال عابسًا حتى قالَ:
- أنت عارف الله يرحمه كان جايب الحمار ليه يا كريم؟

فيرد كريم متسائلًا:
- ليه؟
- مش عشان يركبه، عشان الحمار عارف السكة هههههه.

يغرق الجميعُ في الضحكِ حتى يقفَ كريم بجوارِ علّام وهو يضعُ يده على كتفِهِ ويقول:

- هو دا علّام، هو دا صـــاحب الفكرة اللي مجمّعانا، ولكُم أن تتخيلوا، نبيل صـديقي وعبقري الكمبيوتر، والفنان سمير النحات المبدع.

يتقدم علّام ليرحبَ بسمير ونبيل الذيْنِ تولى كريم مهمة التعريفِ بهِم أمامَ علّام فيبدأ علّام بقولِه:
- الفنان سمير، عايز أشوف إبداعك.
- دا شيء أكيد يشرفني.

يتحرك ســمير إلى لتماثيل المغطاة ويجتمع أمامهم الباقي حتى يكشـفَ عنهم واحدًا تلو الأخر ويسـمع بعد كل غطاء يكشــفه عن صــيحاتِ الانبهارِ والإعجابِ والتصــفيقِ بما أنجزه من إبداعٍ والجميعُ يثنى عليه، حتى قاطعهم كريم وقال:
- الفكرة شـكلها بيحلو في دماغي وكفاية المسـتوى دا كبداية لازم نبتدي الخطوة اللي جاية بســرعة وهو دور نبيل، إحنا حنسـجل فيديو دلوقتي واللي حيقول البيان هشــام، وعلى نبيل إنه يعمل هاكر على بث قناة مباشــر ويذيع الفيديو، هو كان أخد فكرة مني إمبارح عن الموضوع واشتغل عليه.

يقفُ نبيل ويفتحُ حاسوبه المحمول قائلاً:

- إمبارح لما كريم فتح معايا الموضــوع وافقت بدون نقاش وابتديت أشـــتغل بالفعل وكان لازم نختار برنامج عليه نســبة مشــاهدة قوية عشــان أضــمن انتشــار الفكرة بشــكل ســريع، والحمدلله تم اختيار القناة والبرنامج اللي حنقطع البث عنه ونذيع الفيديو بتاعنا.

يقاطعُه هشام ويسألُه:
- برنامج أيه؟

يرد عليه نبيل منتشيًا:
- برنامج "كلام جد شوية" تقديم "أمجد الكيلاني".

كانت إجابة نبيل كصـــاعقةٍ أصـــابتِ الجميعَ حتى رد عليه كريم متسائلاً:
- أنت بتهزر أكيد، أمجد الكيلاني؟!، أعلى نســبة مشاهدة إزاي يعني؟!
- أكيد بيهزر يا كريم!!

كان هذا رد علّام نافيًا ما ســـمعَه حتى أجابَهم نبيل مبتسماً:
- اسمعوني بس يا جماعة مش حنختلف إن لُه جمهور ودا أكيد حيشـــوف الفيديو، واللي بيكرهوه، ودول

كتير لما يعرفوا إن القناة اتقرصـــنت وبثها اتقطع أكتر من ســـاعة، الغل عندهم حيخليهم يتأكدوا من الخبر ولما يتأكدوا يشـــيروا، ولما يشـــيروا الخبر ينتشر، ودا اللي إحنا عاوزينه.

ينقض كريم عليه ويقبّلُ رأسَه قائلًا:
- يا جماعة المخ النظيف نظيف، تسلَم دماغَك، وعلى رأي الشاعر البوهيمي: "أنا أفكر .. إذًا عندي مخ".
- حاتوقف البث ساعة كاملة؟

كان هذا سؤال هشـام لنبيل الذي جاوبه مبتسـمًا بثباتٍ قائلًا:
- حوقف البث ســاعة والفيديو بتاعنا حيفضـل يتكرر عشـــان أضـــمن أكبر عدد يقدر يحمله وأضـــمن انتشاره، بس أنا لسه ناقصني الفيديو، حيجهز أمتى؟

يتحرك علّام وهو مسرعًا ويقول:
- ثواني نظبط هشام في ماسك ولبس أسود عشان مش حابين نظهر في الصـورة في الوقت الحالي، وإدينا بالظبط نص ســاعة ويكون الفيديو البيان جاهز معاك.
- تمام مستنيك.

******

يتحرك ســـريعًا بين ممراتِ الغرف لا ينشـــغلُ بالتحيةِ العسكرية التي تُلقى عليه أثناء سيره بين معظم الأفراد الذين يمر عليهم حتى يصـــل إلى باب كبير يظهر عليه علامات الفخامة والرقي مُعلقٍ عليه لافتةً مكتوب عليها "رئيس جهاز الأمن العالي"، يقف أمامه وينظم أنفاسَـه المُسرعةِ ويهندمُ ملابسـه ثم يطرُقُ البابَ وبعد لحظاتٍ يُسمع صوتٌ أجش عالٍ يقول بثبات:

- إتفضل

يفتح الباب ويتحرك بخطواتٍ متوترةٍ، ويظهرُ هذا على ملامحِ وجهِهِ بوضوح ويفاجئه صوتٌ يصرُخُ فيه:

- في إيه يا سامح؟ خير.. مالك؟

فيحاول أن يستجمع قواهُ ويقول:

- في خبر وحش يا معالي طارق باشـــا حصـــلت من حوالي عشــرين دقيقة، عملية قرصــنة على برنامج الأســتاذ أمجد الكيلاني والبث موقوف وبيتذاع بداله بيان غريب مدته ٣ دقائق وبيتكرر، لازم حضـرتك تشوفه.

يقف هنا اللواء طارق غاضبًا ينظر له ثم يبحث عن الريموت حتى يمسكه ويفتح التليفزيون ويختار بواسطته القناة المقصودة ليرى مشهدًا لغرفةٍ تفتقرُ إلى الإضاءةِ بشكل كبير، وستة تماثيل مثل تماثيل متحفِ الشمع من دقتهم، يتوسطُهُم شخصٌ يرتدي ملابسَ سوداءَ ذات طابع فتيان النينجا وألعاب الكارتيه، وعلى وجهه قناعٌ لوجه "الجوكر" المهرج من أفلام الرجلِ الوطواط "باتمان" ممسكًا بورقة، وصوت تم وضع بعض التحسينات والتعديلات عليه ليجعله غير نمطي يقول:

- "بيان من شباب يحبون مصر، نحن نعلم أن آفة هذا البلد هو أن هُناك إعتقاد عِند البعض مِنا إنه يستطيع أن يحل أزمات بلدنا الكثيرة إذا أصبح هو المسئول رغم جهله بأبعاد كل أزمة بشكل كامل وواضح أو من ذوات الخبرة الكافية حتى يقوم بحلها، فالجميع يفتون ويرون أنهم الأولى بالحِكمة والمسئولية، وعِرفانًا منا لهذا البلد وحبنا له، قررنا أن نأتي بأكثر ستة شخصيات عبقريةً في مجالها، أثرتْ كثيرًا في زمانها، لكل شخصٍ منهم مسؤولية ملفٍ في الدولة، سيبقوا معنا لمدة عشرين يومًا يحاولون أن يحلوا تلك الملفات الشائكة، أو على الأقل وضع خطة وميثاق عام نسير عليه من بعدهم، وهذا سوف يتم من خلال إلقاء تعويذة على تلك التماثيل الستة لتعودَ

أرواحُهم فيها وتعيش معنا عشـــرين يومًا ثم تغادر عالمنا مرةً أخرى بلا عودة، كل هذا سيتم مباشـرة على الهواء أمامكم، أيها الشــعب العظيم.. غدًا في تمامِ الساعةِ التاسعة مساءً، ولكي تعلموا كم نحن وطنين وهدفنا مصــلحة هذا الوطن، فلقد تم اختيار الشخصيات بعناية ولكل شخصية منهم حكمة، تم اختيار "الزعيم أنور السادات" للملف السياسي، و"الدكتور مصــطفى مشــرفة" للملف التعليمي، و"الدكتور مصــطفى محمود" للملف الصــحي، و"محمد علي باشا" للملف الاقتصادي، و"الكابتن صالح سليم"للملف الرياضي، و"الشاويش رياض القصــبجي" للملف الأمني ، ونحن نطلب منكم أيها الشعب العظيم أن تدعمونا بعد أن تشاهدوا التجربة أمامكم وتؤمنوا أننا نهدف لمصلحة هذا الوطن فقط وصـــادقون فيما نقول أن تدعمونا حتى توافق الحكومة على قبول استــشــارة أكبر مجلس حكماء عرفته مصر منذ فجر التاريخ.

اللهم احفظ هذا البلد من كل شر دفين

شبابٌ يحبون مصر"

عند إعادة البيان مرة أخرى ضغط اللواء طارق على الريموت فأغلق الصوت ثم سار ناحية شاشة التليفزيون

واستدار للرائد سامح وهو يشير إلى الشاشة ويقول:
- إيه الهبل دا يا سامح؟، إيه شُغل العيال دا يا حضرة الظابط؟

جاوبه سامح محاولًا أن يطمئنه:
- دي شوية عيال زي ما حضرتك قُلت مافيش منهم خوف.

يقترب منه اللواء طارق خطوتان وهو يفتح علبة سجائره ويشعل واحدة منها، ويأخذ منها نَفَسًا طويلًا ويخرجُه وهو ينظر لسامح بنظرة ثابتة جامدة خلت من حياة ثم يقول:
- مافيش منهم خوف إزاي يعني؟
- يا طارق باشا البيان بيقول بعد ما يعملوا شغل السحر والشعوذة دا لما ينجحوا فيه عايزين الشعب يدعمهم، حضرتك الموضوع انتهى من قبل ما يبدأ.
- إزاي يا عبقري زمانك؟
- هما معتمدين على سحر وكلام خرافات تافة ما أظنش حيبقى منه خوف، هو حضرتك اللي فعلًا لازم نشتغل عليه هو عدم تكرار الموضوع دا تاني، ما ينفعش كل شوية قناة يحصلها قرصنة ويتذاع فيها بيان لأي حد، ماحدش يضمن الموضوع تبعياته

حتوصل لفين بعد كده.

يصفقُ له اللواء طارق وتتضحُ عليهِ ملامحُ السخريةِ مما قاله:

- إيه الكلام الكبير دا يا ســـامح بيه، أنت ناوي تقول بيان أنت كمان، ماهي بقت خرابة أي حد يقدر يقول اللي هو عـايزه وقت ما هو عايز، ليه البلد مافيهاش أمن ولا إيه؟

يقلُّ حماس الرائد سامح ويشعرُ بكمِّ الغضبِ الصادر من اللواء طارق وهو ما يجعله ساكنًا ينظر في الأرض متخاذلًا وهو يقول:

- أنا أسف يا فندم، أنا تحت أمر معاليك.
- الفكرة في حَد ذاتها جميلة لما يبقى عندنا عقول زي الناس العظماء دول هما اللي بيحلوا المشـــاكل اللي عندنا ســـاعتها فعلاً الموضـــوع حايتحســـن كتير، العيال دي وطنية لكن اِستخدام حُسن النية مش دايماً بيشفع في الغلط , فهمت يا حضرة الظابط!؟
- تمام يا فندم.

******

أصابعُ يده تتحركُ بسرعةٍ وتقفز بين حروفِ لوحةِ المفاتيح بحاسوبِه المحمول، تتنقّل نظراتُه بين أماكنَ كثيرةٍ، ترتسمُ على وجهِه ملامح الفرحِ والذهول، يلتفتُ حوله فيرى حماسَ هشام وكريم حتى صاح منتصراً:

- مش ممكن بجد، فيديو البيان حقق مشــاهدات من امبارح لحد دلوقتي عمل خمســة مليون مشــاهدة واتّرجم إنجليزي وبيتذاع في نشرات أخبار عالمية، وعامل ضجة خرافية على السوشيال ميديا:

يضع هشام يده على كتفِه متحمسًا:

- فعلًا يا نبيل ماحدش كان يصدق الانتشــار بســرعة كده، النجاح حلو برضه.
- ولســه لو تجربة علّام نجحت فعلًا واتذاع دا على الهوا قدام العالم حيبقى حدث عالمي.

قالها كريم فرحًا لنبيل وهشام ثمّ وجّه سؤاله لنبيل قائلاً:

- نبيل هو إحنا حنســتنى ميعاد برنامج أمجد الكيلاني عشان نذيع فيديو التجربة؟
- وإحنا مالنا ببرنامج أمجد الكيلاني؟

يتفاجأ كريم وينظرُ لهشام الذي كان مستغربًا أيضًا ثم يعودُ سائلًا نبيل:

- مالنا إزاي أنت مش قرصـــنت على البرنامج بتاعه حوالي ساعة امبارح واتقال في البيان إننا حنذيع في نفس الميعاد الساعة ٩، إيه اللي إتغير؟

ينظرُ لهُما نبيل مبتسمًا ومنتشيًا فيقول:

- إحنا فعلًا قرصـــنا البرنامج بتاعه وذِعنا فيه البيان إننا حنذيع التجربة الســاعة ٩، بس ما قولناش على نفس القناة ولا حتى على نفس البرنامج.
- ليه التغيير دا أنت أخدت وقت كبير امبارح عشـــان تقدر تقرصـــن على القناة وخلاص عرفت إيه أولها وإيه أخرها؟

هكذا وجّه هشام تساؤلَه لنبيل الذي أجابَهُ بكلّ ثقة:

- الوقت اللي أخدته في عمل هاكر على القناة امبارح دا يعتبر وقت طبيعي جدًا لأي عملية قرصنة ويمكن كمان أقل من الطبيعي ودا لأن القناة خاصـة ومحلية مش حكوميـة، فنُظُم الحمـايـة علي الأنظمـة بتـاعتهـا كان ضـعيف وقدرت أخترقه، أما عن سـبب التغيير دا لأن همـا أكيـد أخـدوا احتيـاطـاتهم وفـاكرين إننـا

حنستسهل ونعمل هاكر على نفس القناة تاني، وساعتها يا إما حيصدوه بكل الطرق ودا لاستعدادهم الكبير للموضوع أو حيسيبونا نذيع أول دقيقتين تلاتة بالكتير يكونوا عرفوا مصدر قوتنا في اصتيادنا لنقطة ضعف جوه السيستم الأمني عندهم ويقدروا ساعتها يتتبعوا الإشارة ويعرفوا المكان هنا، ماتنسوش إن الحكومة بكل ثُقلها دلوقتي في الملعب فلازم ناخد حذرنا.

ظهر بعضُ التوترِ على هشام وقال:

- أومال إيه خطتك أنت في إذاعة البث المباشر للتجربة اللي خلاص مافيش قدامنا وقت غير نص ساعة بالكتير ونبتدي فيها
- إحنا لازم نسبقهم بخطوة ونلعب على مستوى الحدث والنتيجة اللي وصلنالها.

قال كريم مستفسرًا والتوترُ يتملّكُه:

- ياريت توضح قصدك إيه يا نبيل؟
- حاضر يا كيمو، هما دلوقتي مستنيينّا ننزل نلاعبهم في ملعب برنامج "كلام جد شوية" بتاع "أمجد الكيلاني" اللي على قناة "الأمة"، بس إحنا بقى عندنا مباراة تانية للأسف على قناة "بيب إسبورت

الرياضية" لقطع بث مباراة الكيلاسكو بين برشلونة وريال مدريد.

تظهر على كريم وهشام علاماتُ الذهولِ والفرحِ مما سمِعوهُ ثمّ قال كريم فرحًا:
- الكلاسيكو يا نبيل يا صايع، أنت عبقري.
- عندك حق يا كريم، أنت كدا ضـمنت أكبر مشـاهدة في الوطن العربي، كده فعلًا الحدث حيبقى عالمي زي ما قولت يا نبيل... يا دماغك.

فأجابه نبيل متحمساً:
- كل ما قدرنا نكبر عدد المشـاهدين للفيديو، كل ماقدرنا نزود المؤيدين لفكرتنا، كل ما قدرنا نجبر الحكومة على تنفيذ الفكرة، ودي فايدة الميديا دلوقتي بقت أسـلوب ضـغط كبير على الحكومات، المهم إزاي تستخدمها.
- كلامك صح يا عبقري على رأي الشاعر البوهيمي، " السِياح سلاح المِتغَفلين".
- إنت مش حترحمنا من الشـاعر بتاعك يا كيمو ماتقوله حاجة يا دكتور هشام.
- أقول إيه! هو على طول مصـدّرلنا أحكام الشـاعر بتاعه ده، اللي مش عارف له لا أرض ولا زمن ولا

مبدأ، بوهيمي بوهيمي يعني.

يدخلُ سمير عليهم مسرعًا ويقولُ لهم:
- شباب، علّام عايزكم في الحُوش جوه.

يتحركُ الجميعُ ليجدَ علّام يقومُ بوضعِ سماعاتِ الصوت بين التماثيلِ الستة الذين تم وضعُهم على شكلِ نصفِ دائرة، وأمامهم في المنتصفِ حاملٌ وعليه كاميرا الفيديو وبجانبها كشافان للإضاءة ثمّ منضدةٌ يضعُ عليها علّام حاسوبه المحمول ينظرُ في شاشته ثمّ يعودُ ويحركُ عدسةَ الكاميرا قليلاً، وعندما تجمّعَ الجميعُ خلف هذا المشهدِ بادره كريم بسؤالِه:

- إيه الأخبار يا جناب الكوماندا المهم علّام باشا؟

ينظرُ له علّام متجاهلًا ما قالهُ ويوجّهُ سؤاله لـ نبيل قائلاً:
- إيه الأخبار يا باشمهندس نبيل أنت جاهز؟
- جاهز جدًا وعندي مفاجأة ليك.

ينجحُ نبيلُ في لفتِ انتباهِ علّام ليجعلَه يتوقّفُ عن متابعتِهِ لشاشةِ حاسوبهِ المحمولِ وينظرُ له متسائلاً:

- خير يا باشمهندس، قدرت تعمل هاكر على قناة ليها عدد مشاهدين أكبر من بتاعت امبارح؟

يصمتُ الجميعُ وينظرون لبعضِهِم بعضًا إلا سمير الذي كان منتظرًا إجابةَ نبيل على علّام، حتى قطعَ هشامُ الصمتَ قائلاً:
- أنت عرفت منين إن نبيل حيعمل كده فعلًا؟

يتحركُ علّام لتعديلِ وضعِ سماعةِ صوتٍ بجانب أحد التماثيلِ ويقول:
- يعني دا الطبيعي، إحنا هدفنا أكبر عدد مشـــاهدين عشـان الناس تنزل تتظاهر وتضـغط على الحكومة في تنفيذ الفكرة.

يردُّ كريم مندهشًا:
- شكلي ححترمك يا علّام، هو مش أكيد بس ححاول.

يقفُ علّامُ ويلتفتُ للجميعِ وتظهرُ على وجهِهِ الجديةَ فيما سيقول:
- مش وقتـه الهزار دا يـا كريم، إحنا داخلين على الجد خلاص وكلها كام دقيقة وحنذيع التجربة على العالم كلـه، نـدعي ربنـا إنـه يوفقنـا في اللي حنعملـه، إحنـا

هدفنا مصــلحة البلد قبل أي حاجة ومافيش مصــلحة شخصية من الموضوع دا لـأي حد فينا.

- عندك حق يا علّام.

كان هذا ردُّ كريم وتابعهُ بالتركيزِ فيما يقولُهُ علّام عن خطواتِ تنفيذِ التجربـةِ وأعطى كل فردٍ منهُم ســماعةً على رأسِه حتى يفصلَهُم عن سَمَاعِ أصلِ التعويذةِ فلا يريدُ أحدًا أن يستغلَّها في أيِّ شيءٍ قد يسيءُ استخدامَها ويبقى سـرُّها معهُ هو فقط، حتى أنه طلبَ مِن نبيل عِندَ إذاعـةِ الفيديو غلق الصـــوتِ في البثِّ المباشـــرِ حتى يحافظَ على سريةِ التعويذةِ وضمان عدم انتشارها، كان هذا شـــرطُهُ ووافق الجميعُ عليه بما فيه من مصـــلحةٍ للجميع، فالأهمُّ هو تنفيذُ التجربةِ بنجاحٍ ولا تهمُّ الوسيلةَ المستخدمة.

بالفعلِ نفَّذَ الجميعُ ما قالهُ علّام وقفوا خلفَ الكاميرا واضعين سماعاتِ الرأسِ وذهبَ نبيلُ إلى حاسوبه وأشارَ لعلّام ليستعدَّ وهو يقول:

- ٥ .. ٤... ٣....... ٢....... ١......... أكشن

******

الأتربـةُ بـالغرفـةِ تتطـايرُ بســـببِ الذَّبذاتِ المنبعثة من طَرْقِ السماعاتِ بعضِها ببعض، هذا الطَرقُ الناتجُ عن صـــوتِ طبولِ المســـاعدةِ في صـــوتِ إلقاءِ التعويذة، ضـــربـاتٌ قويـةٌ واهتزازات مســـيطرةٌ على طبيعـةِ التمـاثيل، الكلُّ يراقبُ ما يحدث ســـواءً من بالغرفةِ أو من يشاهدُ البثّ المباشر، الكلُّ مُرتقبٌ ما سيحدث ولكن مَن بغرفةِ التماثيل إحســاسُــهم أقوي بكثير، يكتســب الجميع قنـاع التوتر والقلق بجدارة، القناعٌ الذي لمع من كثرة العرقِ عليـه، الكلُّ يلاحظُ كل ذرة في كل تمثال، الكـل ينتظرُ التغييرَ، أي تغييرٍ حتى انتهـت التعويـذةُ وصـــمتَ الصـــوتُ وأشـــارَ علّام للجميع أن يخلعوا سماعاتِ رأسِهم، واحدٌ تلو الأخر يخلعها وينظروا إلى بعضٍ متســائلين عمّا حدث؟ هل نجحت التجربةُ أم تلك بـدايـاتُ الفشـــل؟ عيونُهُم تقولُ ذلـك مراقبينَ علّام والتماثيل، حتى تفاجؤوا بصـوتٍ غريبٍ قادمٍ من ناحيةِ التمـاثيلِ فتقدموا خطوة للأمـام بـاحثين عنِ مصـــدره، فتفاجؤوا بكريم وهو يصـرخُ ويشيرُ ناحيةَ تمثالِ محمد على باشا قائلًا:

- القشرة... الصوت دا سببه قشرة وقعت على الأرض من تمثال محمد علي.

هرولت عيونُ الجميعِ على ما قاله كريم ولكن بدأ هذا

يتكررُ في باقي التماثيل، صوتُ طقطقةٍ ثم شروخٍ ثم قشورٍ تتساقطُ حتى قالَ سمير:
- الطبقة الأولى الخارجية من التماثيل بتسقط.
ســـقطت الطبقةُ الأولى بالفعلِ من كل التماثيلِ ليظهرَ تحتَها جسدٌ ثابتٌ بشرتُهُ أصبحت أكثرَ بشرية، طالت تلك الطبيعةُ حتى ملبسُهم كان يشعّ بالحياة، لكنّ أعينَهُم لا تزالُ مغلقةً وفجأة وبدون ســـابق إنذار فتحت كل التماثيلِ أعينها في اتجاهِ علّام المتقدم، ليشـــهقَ الجميعُ في فزعٍ، وبدأت كلُّ تمثال في تحريك فكِّه ويديه يحاول تصديقَ إنه عاد إلى الحياة منبهرًا ومستغربًا بما حدث، بدأت جميع التماثيل تتقدمُ خطوةً للأمامِ متخطينَ الكوْمةَ الجافةَ من القشـــرةِ الطينيةِ التي حولهم، كل هذا حدث وســـط ذهولِ وصـــمتِ الجميع، الكلُّ يراقبُ دونَ أن تســـمعَ حتى صـــوتًا لأنفاسِـــهِم، حتى كسَـــر علّام هذا الصمت عندما تحركَ خطوةً إلى لأمام قائلاً:
- أهلًا بعباقرة وعظماء مصـــر، أنا حجاوب على كل حاجة جات في بالكم أو ممكن تيجي بالكم، إحنا مين؟ إحنا أحفادكم من شعب مصر، الزمن؟ في سنة ٢٠٢٠، سبب اللي عملناه دا إيه؟ محتاجين لحِكمتكم اللي قدرت تحل مشاكل زيها في عصركم، وعشان أنتم فارقتونا من زمان ومافيش زيكم في زماننا، جت الفكرة إننا نســـتعيد روحكم معانا بعد ما عملنا

لكم تماثيل تقرب من شكلكم الطبيعي بنسبة كبيرة، وقرينا عليكم تعويذة قديمة من السحر الأسود، اللي بسببها اتحولت التماثيل دي من حجر لبشر وحاتفضل معانا روحكم في الجسد شبه البشري دا لمدة عشرين يوم بس، دا اللي قدرنا عليه للأسف عشان تقفوا جنب حكومة البلد دي في حل الأزمات اللي احنا فيها.

قوبِل ما قاله علّام باستنكارٍ من الضيوفِ العظماءِ واجتاحت ملامحُ الغضبِ وجوهَم، وبدأ محمد على باشا الحديث ووجهُهُ يشعّ احمرارًا من ثورته قائلاً:

- يعني أنا روح، أنا شبح، أنا تمثال عجوة بلح؟
- أنت شيوعي يا ولد أنت؟! إزاي تتجرأ وتعمل اللي عملته دا؟! أنت شكلك من المدعيين الناصرية!

قالها الزعيم السادات منفعلًا بعدما أفرغَ مِن فمِهِ دخانَ غليونِهِ البنّي، فحاول علّام مدافعًا بقوله:

- أنا عارف إنه مش من حقنا إننا نجبركم على حاجة، بس إحتياجنا ليكم هو اللي خلانا نعمل كده، حالمين وبندعي ربنا يبقى الحل في إيديكم، أنا عارف إنه كلام غريب لكن دا الواقع والحقيقة دلوقتي.

لم ينهِ علّامُ جملتَه حتى قاطعَهُ دخانُ سجائرِ الكابتن صالح سليم قائلاً:

- يعني أنتم شـــايفين إننا حنقدر نحل مشـــاكلكم وأنتم ماتعبتوش نفســـكم شـــوية حتى عشـــان تجتهدوا وتوصــــلوا!! الحل بقى شــغل عفاريت وأرواح وأعمال، الحمد لله إن الرياضة بعيدة عن الهبل دا.
- الرياضــة بقت كلها شـغل عفاريت وأعمال دلوقتي، بس للأســـف بيشـــتغل مع كله وعندك في الأهلي Stop مش جايب نتيجة مع الأهلي، ما أنت حامي النادي بروحك يا كابتن.

قالها كريم محاولًا تخفيف حدةِ الموقفِ قليلًا ولكن لن تنفعَ محاولتُهُ كثيراً، مازال التذمّر على وجوهِ العظماءِ إلا الدكتور مصـــطفى محمود الذي نظرَ لهم مبتســـمًا وقال وهو يتأمل ما حوله:

- ٢٠٢٠ .. شـوف شـوف سـبحان الله بعد كل العلم اللي الواحد شـافه في حياته ومحاولاتي لتثقيف عقول النــاس في برنــامج العلم والإيمــان وكتبي ومولفاتي وتخيلي للمستقبل وكل هذا المجهود، إزاي الكـائن المصــــري برضـــــه لســـــه بيفكر في حل بالعفاريت والتعاويذ والســـحر والخرافات حاجة تجنن بجد، فعلا الكائن المصـري، سـبحان الله كائن عجيب، يؤثر ولا يتأثر.

- أين دور التعليم في ثقيف العقول، العلم الذي يرتقي

بســـمو العقل من قـاع الجهـل والأميـة، التعليم هو أساس أي مجتمع، إذا بُنى التعليم على أسـاس سـليم لم تُرَ على الأمد تصـدعاته، أنا توفيت وأنا أســابق الزمن في تطوير طرق اســتغلال الطاقة النووية أنا والعالم الألماني ألبرت أنشتاين، إلى أين وصلتم في هذا المجال؟

كان هذا هو سـؤال دكتور مصـطفى مشـرفة وقد خلق حالة من الصـمت بعده، فالعظماء ينظرون إلى الشباب منتظرينَ الإجابة، والشــبابُ متاخذلونَ ينظرُ بعضـــهم إلى بعض بـاحثين عمّن يجيـبُ على هـذا الســؤالِ ويصـــدمُهُم، وكان هشـــام هو من يمتلك جرأة الإجابة وهو صاحب أول ضربةٍ هزلية حينما قال:

- يا دكتور مصـطفى الإضـاءة والأجهزة اللي شـغالة قدام حضـرتك دي شـغالة بالمولّد الكهربائي، وإحنا نعتبر كدا مكلفين عشـــان الكهربا ماتقطعش واحنا بنبث على الهواء، الموضــــوع مابقاش مضـــمون للأسف، أظن إجابة سؤالك وصلت.

- أمـا أنـا بقى فمعنديش غير كلمـة واحدة، وهي إنكم جيل طروبش، يعني جيل لما يفكر بيزود البلا بلا، أكيد دا نتيجة إنه جيل فلاتي مبصـبصـاتي مايعرفش

حاجة عن الحزم والربط، ماهو لو فيكم حد نِور وبيفهم كان جابني مع الناس الباشاوات الفطاحل دول إزاي، إيش جاب لجاب يا هباب منك له له له له له، مين صاحب الدماغ الألماظات اللي رشحني عشان أكون حل لملف في دولة زي مصر؟

كان هذا تساؤلًا من الفنان رياض القصبجي أفرجَ بِهِ عن صمتِه، وكانت الإجابة في أعين الشبابِ التي اتجهت ناحية علّام وهو يبتسم في بلاهةٍ مصطنعةٍ معلنًا عن نفسِهِ، ثم تقدم خطوة وقال:

- أنا حقول لحضرتك سبب اختياري ليك وترشيحك للملف الأمني.
- الملف الأمني كمان!!! .. كمل يا ترعة المفهومية .. اخترتني ليه؟
- لأن حضرتك الشاويش عطية الفرد الأمني الوحيد اللي اكتملت فيه المواصفات المطلوبة، شرطي منضبط، محب للخير، مطيع لرؤساؤه، عارف إن خدمته للمواطن هي خدمة الوطن، مش بيتساهل مع أي حرامي مهما كان إيه، مش مرتشي وأمين حتى لو دا في نطاق دور في فيلم، لكنه أحسن رجل شرطة عرفه جيلنا.

نظر له الفنان رياض محاولًا إقناع نفسه بما يقوله وهنا تقدم الزعيم السادات وقال:

- يا زعماءَ الماضي وعلماءَ الحاضرِ وشبابَ المستقبل، الكلامُ لن يفيد، فلقد وقعنا في هذا الفخّ وما باليد حيلة، دعونا نعمل على ما أحضرونا من أجلِه، فليأخذ كلٌّ منا ملفَّه الخاص وليجتهِد ويخلص فيه لله، فهذا العمل من أجل مصر، مصر في أي زمان، والله الموفِّقُ والمُستعان.

استوعبَ الزعماءُ كلماتِ الزعيمِ السادات، ومالت برأسِها موافقةً وأدركتْ أن بالفعلِ ليس للحديثِ أهمية، فلقد تم استحضارُهُم لمهمةٍ محددةٍ لفترةٍ محددة عليهم أن ينهوها بأفضلِ صورةٍ حفاظًا على تاريخِهِم، وتبقى خطوةٌ واحدةٌ على مهمتِهِم، والتي تكفَّل هشام بشرحِها لهم.

******

"البيانُ الأولُ لمجلسِ المصريينَ العظماء"

أيّها الشعبُ، شعب مصرَ العظيم، لقدْ جِئنا لكم مُجبرين من شباب مصر، شبابٌ منكُم يحلُمون بغدٍ أفضلَ لهُم ولكُم، ولكن بالنسبةِ لنا فهذا ليس إجبارًا ولكنّه أمرٌ كلنا نتمناه، أن نخدمَ هذا البلد ما حيينا، لقد اجتمع الآن أفضل عظماء وعلماء عرفتهم مصر في العصر الحديث، يُشيدُ لهم التاريخُ بإنجازاتهم في الملفاتِ التي كانوا يديرونها، وهذا ما نأملُ أن نحقّقَه في هذا الزمنِ مرةً أخرى، وأنا بصفتي المتحدث الرسمي لمجلسِ العظماء أطلبُ من الحكومةِ أن تتيحَ لنا أن نتولّى تلك المِلفّاتِ ونحاولُ أن نجدَ الحلولَ المناسبةَ لها، فلا نريد أن يضيقَ صدرُ الحكومةِ بتواجدِنا، اسمحوا لنا إن نكونَ ضيوفَكُم لمدةِ عشرين يومًا لا أكثر، ونحن نعدُكم بأن نكونَ ضيوفًا خفافًا، فمهمّتُنا تحليلُ الأزماتِ واقتراحِ الحلولِ فقط، ولكُم أنتُم الحريةَ في تنفيذِها إذا ما نالتْ رِضاكُم، فرجاءً منا أن تسمعوا صوتَ الشعبِ الزاحفِ بالملايين في شوارعِ المحروسة، وأن تعطونا تلكَ الفرصةَ أن نكونَ يدَ العونِ لكم، أشكُركُم، واللهُ الموفِّقُ والمُستعان".

- شايف يا حضرة الرائد سامح بيه وصلنا لفين بسبب

شـــوية العيال اللي مش عاجبينك، البيان دا بقاله ٣ ســـاعات بيتذاع من القنوات اللي اتقرصـــنت لكل نشرات الأخبار العالمية، الناس صدقت اللي حصل والميادين اتملت بيهم وبيطالبوا الحكومة بالموافقة على إننا محتاجين شوية عفاريت لناس ميتين عشان ينقذونا، أنا ما أنكرش إني مُنبهر باللي حصـــل ونِفســـي فعلاً يكونوا لينا طوق النجاة ماحدش يكره الخير يا سامح للبلد دي ودا كمواطن مصـري، لكن كرجل زمن اللي حصل ده مهزلة.

وقفَ ســامح يتصــبّبُ عرقاً، يبحثُ في عقلِهِ عن إجابةٍ تنقذُهُ من هذا الموقف، فجاوبَه محاولًا تخفيف الموقف ولكن بشيءٍ من الثقة قائلاً:

- يا طارق باشا، حكومتنا لا غبار عليها، ودا حيديها ثقة زيادة عن الأول، لأن مجلس المسوخ الأموات دا محكوم عليه بالفشل من قبل ما يبدأ، الموضوع يا باشا مش في القيادات بس، والحل في تغيرهم وخلاص حتى لو كانوا زعماء كُبار وليهم تاريخ زي دول ، الموضوع في تغيير الهيكل من تحت لفوق مش من فوق لتحت لما الشعب يتغير يا باشا للأحسن ساعتها حاتحس بالخير وتشوفه في البلد دي وهو يعني المسئولين

الحالين منين حضرتك؟ ماهو من نفس الشعب برضه يا باشا مش من كوكب تاني عشان تغيره يغير كل شئ.

نظرَ له اللواء طارق وعيناه تلمعُ من الغضبِ والإِحباط الواضح من نبرة سامح ولكن بداخله هو مقتنع نسبياً بما قاله سامح، مَدّ يده لاحتساء القليل من عصيرِ الليمون الذي أمامه وهو ينظر لسامح محاولًا أن يداري ارتياحَه لما سمع، حتى وقفَ من مقعدهِ بمكتبه واتجه ناحيةَ الأريكة بجانب مكتبته الخاصة وجلسَ وهو يقول له:

- يعني أنت شايف إن الحكومة حتوافق على الهبل اللي حصل ده؟
- وحتدعمه كمان يا باشا.
- تدعم؟! ليه هو في مصلحتها للدرجة دي؟
- طبعًا معاليك، ماتزعلش مني يا باشا فشل التجربة دي حايثَبّت أقدَام الحكومة، وإن المشكلة مش أفراد تكون مسئولة على قد ما يكون الشعب قد التغيير ده.

يقولُ سامح تلك الجملةَ مبتسمًا ليجدَ اللواء طارق يبادلُهُ الابتسامة مع التصديق على ما قاله، ثم يقولُ له:

- شكلك ابتديت تفهم قواعد اللعبة كويس يا سامح وده معناه إن عمرك في العالم بتاعنا طويل مش قصير

زي باقي زمايلك، ابتديت أقتنع بكلامك وأدينا مستنين الأوامر، آخر أمر وصل سيبوهم وماحدش يقرب منهم لحين إشعار آخر.

وهنا يرن جرسُ هاتف المكتب ليقومَ اللواء طارق من جلسِتِه متّجهًا إلى مكتبِهِ مسرعًا فهذا هو الخطُّ المباشرُ بالسلطة العليا، ليرفعَ سماعةَ الهاتفِ ويجيبَ فتظهرُ علاماتُ التعجبِ ثم الاستحسان ثمَّ ينظرُ للرائد سامح وهو يُغلق الهاتفَ ويقول:

- طلع عندك حق يا سامح، الحكومة وافقت على مجلس الأموات دا ومديالهم كل الصلاحيات اللي هما عايزنها لمدة ٢٠ يوم تبدأ من النهاردة وحيتذاع البيان بعد ٥ دقايق بالكلام دا في التليفزيون الرسمي.
- قولتلك يا باشا، الحكومة ذكية ومش حاتخسر خطوة زي دي.
- أنت اللي حتمسك ملف المجلس دا لحد مايتقفل يا سامح.
- حيتقفل يا باشا قريب أنا واثق.

******

بعد مرور ست ساعاتٍ على اجتماعِ مجلسِ المصريين العظماء مع الحكومةِ وطرحِ الحكومة المشاكل التي

تواجهُها بكل شـفافيةٍ بالطبعِ مدروســة، خرج المجلسُ وهو يعلمُ من أين يبـدأ، واَتفق كريم على أن يرافقَ الزعيم الســادات ومحمد على باشــا، ويرافقَ هشــام الدكتور مصطفى محمود والدكتور مصطفى مشرفة، ويكون علّام مع الكابتن صــالح ســليم والفنان رياض القصــــبجي وأن يكونوا جميعًا اليدَ اليُمنى لهم، وتنحى ســمير ونبيل عن المشــهد وأرادوا أن يتجنبوا الظهورَ ورأوْا أنهم قـاموا بـدورِهِم عى أكمـل وجـهٍ وأن البـاقي من خطواتٍ ليس من اختصـاصِـهِم ولن يكونوا إضـافةً في تلك المرحلة.

كـان أول البـادئين من المجلسِ في التحركِ هو الثعلـبُ المتلون، كـان يلوّن بـالإنجـازات، وقـت الحرب حرب، وقت الاتفاق معاهدات، أما الخبرةُ في السياسة فقدْ لوّن نفســـه بـالكيـاســـة، وبتعـاملـه مع الأحزاب كما ما قال الكتاب، إنه الزعيم أنور الســـادات فلقد اتجه مباشـــرةً بمرافقة كريم إلى معتقلِ العقرب السـياسـي بعد أن أخذ موافقة المســـئولين بما ســـيقومُ بفعلِه، وأمام كاميراتِ التصـــويرِ العالميةِ والمحلية، أخذَ ببلطةِ المطافي وأخذَ يكســـرُ ســـورَ المعتقل، ثم يأمرُ حراسَ البواباتِ لتفتحَ أبوابَهَـا ليخرجَ الشـــبـابُ المعتقلون من داخـل المعتقـلِ وينـظـروا أمــامـهم غير مصـــــدقين، ثم ينتقـلُ إلى

الإعلاميين الحاضـــرين مِن كلِّ بقاعِ العالم ماســـكِين بميكروفوناتهِم فيقول:

- بسـم الله ... أبنائي، يا كل فصـيلٍ مصـري، إنه بيدي بعدَ عزمِ اللهِ أغلقتُ المعتقلات نهائيًا، ولن يعتقلَ إنســانٌ بعد اليوم، دعونا نبدأ في بناءِ الديمقراطية، نكونُ صـوتًا لكل مظلوم، نبدأ من جديدٍ بناءَ أحزابٍ سياسية، ذات مرجعيةٍ مصريةٍ، مصـرية فقط، وأنا من مكاني هذا سـأبدأ بإعلانِ تأسيسِ الحزبِ البلدي الديمقراطي، تحت رئاســتي وتوجيهاتي، هيا نبدأ، ودعونا نعملُ في صمت.

جاء الردُّ بهُتافٍ عالٍ وتصــفيقٍ ســمعتهُ الثعابين في الجحور، ثم طلبَ أن يجلسَ مع الشــبابِ فقط، مع كل فصــيلٍ على حدة، وكانت البدايةُ مع شـبابِ الثورةِ أو ماتبقى منها، وكان كريم فردًا منهم فبدأ الســادات حديثه قائلاً:

- أبنائي .. يا من قُمتُم بأطهرِ عملٍ شــعبي، يجبُ أن نكونَ أهلًا للمســؤولية، وأنتوا يعني في الزعامة الانتخابية سـمعت كلام مش ولابد، مين يبقى زعيم ومين يتكلم ومين يرد، دي نقطة ضـعفكم حاولوا تكونوا جسـم بعقل واحد ومليون دراع، التنظيم هو العلاج وتحديد الأولويات دا شـيء مافيهوش مزايدة،

عايزكم حزب قوي ونشــاطكم قدام العالم مُعلن، أنتم أولادي، أنتم المستقبل، إحنا معتمدين عليكم.

كانت تلك الكلماتُ مُلهمةً وحماسيةً لمَسَهَا شبابُ الثورةِ وأشـعلت حماسَـهُم بشـكلٍ كبيرٍ، ولكن عند دخول باقي شـبابِ الفصـائلِ كانت الصـدمةُ هي الشـعورُ المسـيطر على كريم، فعندما دخل شـــباب الأخوان كان حديثُ السادات كما يلي:

- أبنائي .. يا من قمتُم بأطهرِ عملٍ شــعبي .. يجبُ أن نكونَ أهلًا للمســؤوليـة، وأنتم يعني في الزعـامـة الانتخابية سـمعت كلام مش ولابد، كنتم تابعين بدون عقل ولا تفكير، دي نقطة ضـــعفكم حاولوا تكونوا جســم بمليون عقل يفكر ويبدع لكن بيد واحدة قوية، التنظيم هو العلاج وتحـديـد الأولويـات دا شــــيء مافيهوش مزايدة، عايزكم حزب قوي ونشـاطكم قدام العـالم مُعلن، أنتم أولادي .. أنتم المســـتقبـل، إحنـا معتمدين عليكم.

يتكررُ الحديثُ مع تغييرٍ بسيطٍ في المضمونِ وعندما انتهي من الاجتماع بكلِ الفصائلِ، ذهبَ ليجلسَ بمكتبِهِ بجوارِ قاعةِ الاجتماعاتِ فتبعه كريم سائلاً:

- يا ريس يا ريس، ممكن أفهم إيه اللي حصل النهاردة؟

وقفَ الساداتُ ينظرُ له وهو يدخّن غليونَه وعيناه تبتسمُ، ثم أسنَدَ يدهُ على كتفِ كريم وسار به وهو يقول:

- عارف قصة عم مرزوق اللي كانت بتيجي في الإذاعة زمان.
- بتاعة السلطانية يا ريس؟
- الله ينور عليك يا كريم.
- أهي السياسة زي أصحاب الجزيرة بالظبط، الجزيرة اللي حتديك فلوس ومجوهرات ونفوذ، عشان تاخد الكنوز دي لازم تكدب وتوعد وتنافق وتقدملها كل دا في السلطانية، لكن حتعمل ذكي وشريف وتعاند معاها حتاخد أنت منها الكدب والوعود والنفاق.. يعني حتاخد منها إيه؟
- السلطانية.
- السياسة أقذر لعبة ممكن تلعبها في حياتك يا كريم، أنا حخليهم يلعبوا سياسة وهحاول تكون بأنضف الطرق، بس اللي يستحمل ويقدر يكمل.

ثم اتجه السادات ناحية المكتب وأمسك ببضع أوراق وأعطاهم لكريم قائلاً:

- دي الوثقية التشريعية للأحزاب السياسية عايزك بعد ما تقراها تبعتها لكل وسائل الإعلام تذيعها وتنشرها،

وأديني رميت بَكَرِة الخيط للقطط، حنشـوف حيلعبوا إزاي بيها ولا حيتعاركوا عليها، إقرا يا كريم.

أمسك كريم بالورقِ وهو ينظرُ إلى السادات مستشعرًا الاستياء والتشاؤم من الخطوات القادمة فتنهّدَ حزينًا ثم بدأ يقرأ:

" الوثيقةُ التشريعيةُ للأحزاب السياسية"
لا ينمو وطنٌ بدونِ قوانين وتشـــريعات تحكمُهُ وتقوّمُهُ، ولوجودِ تلك التشـريعات يتوجّبُ وجود مجلسٍ تشريعيٍ مبنيٍ على تعددِ الأحزاب والأراءِ ولذلك يجب عليَّ أن أَضـعَ بعضَ البنودِ والقوانين التي يجب الالتزام بها كما يلي:

أولًا: تُحلُّ جميعُ الأحزاب الحالية على أن تبدأَ الأحزابَ بدايةً جديدةً ومختلفةً في تأسيسِ نفسِها على أن تكون أحزابًا لا دينية ولا طائفية ولا عنصرية.

ثانيًا: يُسمحُ بتأسيسِ خمسِ أحزابٍ فقط مختلفة الأيدولوجيات تكونُ برئاسةِ الشبابِ وبأعضاءٍ شبابٍ فقط من سن ١٨ حتى ٤٠ عامًا على أن يؤسّسَ مجلسٌ استشاريٌ داخليٌ لكل حزب، يتكونُ

من ١٢ فردًا لمن يزيد سنُّهُم عن ٤٠ عامًا للاستفادةِ من خبراتهم.

ثالثًا: يقدِّم كلُّ حزبٍ في أوراقِ تأسيسِهِ مشروعًا خدميًا للوطنِ على مرحلتينِ في التنفيذِ، كلُّ مرحلةٍ مدتُها عامان، ويُحلُّ أي حزبٍ لم ينتهِ من مشروعِهِ بشكلٍ كاملٍ حسبَ كل مرحلة محددة مسبقاً.

رابعًا: تبدأ الانتخاباتُ البرلمانيةُ بعدَ ٤ سنواتٍ من الآن بعدَ الانتهاءِ من المشروعاتِ الخدميةِ في تأسيسِ الأحزابِ حتى يكونَ للمواطنِ الحقُّ في اختيار حزبٍ عمِلَ من أجله ٤ سنواتٍ متواصلةٍ وليس وعودًا وهميةً قبل صناديق الانتخاب فقط.

خامسًا: الحقُّ الانتخابي مكفولٌ لكلِّ مواطنٍ متعلمٍ بحدٍ أدنى تعليم متوسط.

سادسًا: يحقُّ فقط لأي مواطنٍ مصريٍ حاصلٍ على شهادةٍ جامعية خلال العشرين عامًا السابقة أن يترشَّح كعضوٍ نيابيٍ عن دائرتِهِ من خلال حزبِهِ فقط.

سابعًا: يحقُّ للدولةِ تعيينَ ٤٠ عضوًا من الكفاءاتِ والخبراتِ التي تعملُ على وزنِ وتصحيحِ آراءِ

الشبابِ الأعضاءِ إلى الأفضل.

ثامنًا: بعد الانتهاءِ من العمليةِ الانتخابيةِ، تؤسَّسُ حكومةٌ ائتلافيةٌ من جميعِ الأحزابِ المشاركةِ بنسبةِ أعضائهم الناجحين بالمجلسِ النيابيِ على أن تنتهي مدة تلك الحكومةِ بعد أربعِ سنواتٍ مع بدايةِ المرحلةِ الانتخابيةِ النيابيةِ الثانيةِ.

تاسعًا: هذه الوثيقةُ غيرُ قابلةٍ للتعديلِ بالحذفِ أو بالإضافةِ ويتم قبولها كما هي أو رفضها بشكل كامل .

عاشرًا: تتجهُ أهدافُ جميعِ الأحزابِ أن تكونَ هادفةً إلى خدمةِ الوطنِ وليسَ إلى خدمةِ فرد، ودعائي لهذا الوطن بحياة سياسيةٍ هادئةٍ مليئةٍ بالديمقراطيةِ الناجحة.

المسئول عن الملف السياسي بمجلس المصريين العظماء

الرئيس السابق محمد أنور السادات"

******

خرجَ كريم من الغرفةِ مُمسكًا بوثيقة الزعيمِ السادات لا يعرفُ هل يتفاءل أم يتشـــاءم؟ هل بالفعل ســتتم تلك الإصـلاحات بشـكلٍ كاملٍ دون أي عقبات؟ انتابت تلك المخاوفُ كريم حتى قال لنفسه:

- دخلنا في الجدّ وربنا يســتر، أنا عارف إحنا شــعب مالوش كتالوج، وعلى رأي الشــاعر البوهيمي "من أجمل ســـمات بلدي .. لا تعرف من أين الخـازوج يأتي .. ولكنك ســتعيش مخزوجًا مخزوجًا مخزوجًا يا ولدي".

وأثناء سيره في الطرقات توقف فجأةً لسماعِهِ صوتًا يشبهُ كسر زجاج أتي من غرفة محمد علي باشا فتوجه مسرعًا ناحيتهُ وفتح بابًا ليجدَ محمد علي باشا ينهج بشدةٍ وعيناه محمرتان وعلى الأرض بقايا كأسٍ مكسورٍ، وعندما شعر بوجودهِ رمقه بنظرةِ غضبٍ ثم قال:

- أنت فالد إزاي تدخل حضــراتونا بدون اســتئذانات مافيش أدب مافيش سلوكيات؟!
- أنا آســف معاليك أنا ســمعت صــوت الكســر قلقت وحبيت آجي أطمن بس مش أكتر.

- أنا قلت أتكلم حيوان؟! يعني اللي في جِناب راسك دي أُذن تســـمع بيها ولا زايدة جلدية تم افتتاح حفرهم بصوباعك حيوان؟!
- أنا أسف معالـــ
- تاني حيوان، يعني ما في أُذن وما في مخ كمان، أنا أتكلم، أنا آمر، أنا أمنح، أنا أمنع، أنا أقولك تتكلم فتتكلم فالد، أخرج بره وخبط ثلاث خبطات وتخلي الحفرتين اللي في دماغك تســـمعني لما أقول أدخل فتدخل ساعتها حيوان، يلا يلا.

بالفعلِ يتراجعُ كريم مانعًا غضـــبَـهُ أن يظهرَ محاولًا تقديمَ الاحترام اللازم له حتى وصـــل إلى البابِ وخرج وأغلقه مرةً ثانيةً وانتظر ثلاث ثوان، ثم بدأ نفّذ ما طُلب منه، دق ثلاث دقات على الباب وانتظر عدة ثوانٍ حتى سمع صوتَه من الداخل يقولُ له:
- أدخل حيوان.

وبالفعل دخل كريم راسمًا ابتسامةً زائفةً منحني برأسه قليلًا حتى وصلَ له ثم قال:
- معاليك تؤمرني بحاجة.

أمسـكَ السـلطان محمد علي طرفَ شـاربِهِ بيده اليمنى وهو يطالعُ كريم ثم نظرَ له باستحسان قائلاً:

- عفارم عليك فالد، لازم يبقى في شـوية أدب شـوية ذوق، مش حيوان داخل حظيرات.
- أنـا بعتـذر لمعـاليـك وأوعـدك مش حتتكرر تـاني، تؤمرني جنابك بحاجة قبل ما أمشي.
- أنا أديتك أذونات حيوان تمشـي أو لأ، روح هات قلم وورقيات عايزك تكتب فرمانات من حضـراتونا للحكومة والشعب.

يدور كريم للخلفِ مأفئفًا حتى يصـل لطرفِ المكتب ويحضـر من عليه القلم وبضـع أوراق ثم يشـير بيدهِ يستأذنه في الحديثِ فيميل السلطان رأسهُ بالموافقة:
- ممكن تسـمحلي جنابك أقعد عشـان أكتب اللي حضرتك تؤمرني بيه؟
- بالطبع تفضل.

يجلسُ كريم وهو ينظرُ إلى محمد علي باشا الذي مازال يبرُمُ في طرف شـاربِهِ حتى بدأ الحديث قائلًا بعد أن تنحنح قليلاً:

" فرمان سلطان عالي للمعالي"
عملُ الدولةِ في المرحلةِ القادمةِ هو أن تكونَ شـريكًا في كلِّ عمليةٍ صـناعيةٍ أو زراعيةٍ أو تجاريةٍ تتمُّ على أرضِـها ولكن دونَ أن تجني

على أحدٍ على حســـابِ أحدٍ فالكل ســـواســـية، الحكومة، وأصحاب الأعمال، والشعب.

البندُ الأول: الاستثمارُ في الدولةِ ولمدة ٨ سنوات من تاريخِهِ مقتصِر على "استصلاح الأراضـي الصـــحراويــة، ومزارع الثروة الحيوانيــة أو الدواجن أو الثروة الســمكية، ومصـــانع تطوير المواد الخام المنتجة والمســـتخرجة من الدولة، ولا يمنح ترخيصٌ لغيرِ ذلك إلا إذا كانت منشأت خدمية لتلك الاستثمارات فقط.

البندُ الثاني: تبدأ الزراعة بعدة مراحل:
*المرحلـةُ الأولـى: ومدتها عامان يتم من خلالها إعلان الاكتفـاء الـذاتي بزراعـة المحـاصـــيـل الزراعية الأسـاسـية الضـرورية للمعيشـة، ويتم إلغاء زراعة أو استيراد أي محاصيل غيرها.
*المرحلـة الثـانيـة: ومـدتهـا عـامان يظل الاكتفاء الذاتي مسـتمرًا ولكن باسـتصـلاح أراضٍ جديدةٍ تمامًا وســوف يُســمحُ في تلك المرحلةِ بزراعةِ المحاصيل ذات الطلبِ العالمي للتصديرِ وسوف يتم اختيار المســاحات المطلوبة للزراعة حســب جودةِ التربــة وكفـاءةِ العـاملين بهـا وتقييمِ جودةِ المحاصيل خلال المرحلةِ الأولى.

*المرحلةُ الثالثة: ومدتها ٤ سنوات يتم اختيار عددٍ من المحاصيلِ الجديدةِ تضاف إلى لمحاصيلِ الأساسيةِ لزيادةِ التنوعِ في السوق مع الثباتِ على تصديرِ المحاصيلِ ذاتِ الطلب العالمي وتستطيع أراضينا أن تنتجَ محصولًا ذات تنافس قوي.

البندُ الثالث: الأراضي المملوكةُ للدولة ليست محلًا للبيع، ولكن يتوفر حق انتفاع لأي مستثمر لا يزيد عن ١٠ سنوات ولا تُستغل الأرض إلا للزراعة فقط وإذا تم استغلالها في شيءٍ أخر غيرِ ذلك يتم الحجز على الأرضِ ودفعِ غرامةٍ تصل لثمن الأرض بالكاملِ ولا تقلُّ عن نصفِها (يتم احتساب ثمن الأرض حسب سعر السوق في وقت اكتشاف المخالفة).

البندُ الرابع: يتم إعفاء كل مستثمر في الأراضي الزراعيةِ من الضرائبِ خلالَ المرحلةِ الأولى ويستمرُّ الإعفاء إلى المرحلة الثانيةِ حسبَ جودةِ محاصيلِهِ في المرحلةِ الأولى.

البندُ الخامس: إعادة تأميمِ كلِّ المصانعِ التي تمَّ تخصيصُها خلال الثلاثينَ عامًا السابقة، وسوف

يتمُّ ســـــدادُ المبـالغِ التي دُفِعـت من أجلِهـا إلى مُستحقّيها كمساحاتٍ أراضٍ بحق انتفاعٍ لمدة ١٠ سنوات للاستثمار الصناعيِّ فقط، علىٍ أن يكون نشـاطُ تلك المصـانعِ الجديدةِ هو اسـتغلال الموادِ الخامِ المسـتخرجةِ من الدولةِ سـواء كانت مواد خام بترولية أو زراعية او حيوانية او ســـمكية بدلًا من تصديرِها كموادٍ خام أولية فقط.

البندُ الســـادس: يُمنحُ الإعفاء الضـــريبي لكل مستثمر صـناعي لمدة ٣ سنوات ولكن يُشـترط لمنحِ هذا الإعفاءِ بنـاءُ معهدٍ فنيٍ تـدريبيٍ يكفي بحدٍ أدنى لمـائـةِ طـالـبٍ يكملوا تـدريبهم العملي بـالمصـــنعِ ويُمنحُ ســـنـةً إضـــافيةً من الإعفاءِ الضريبي بعد تعيينِ ٥٠ طالبًا متخرجًا من معهدِ مصنعِه بحد أدنى، وإذا خالفَ المستثمرُ أحد تلك الشروط يُحجزُ على المصنعِ لمدةِ عامٍ يستلمُ في نهايتِهِ نصـف ماتم بيعُهُ من إنتاج مصـنعِهِ، وإذا تكرَّر هـذا الخطـأ يُحجزُ على المصـــنعِ لثلاثـةِ أعوامٍ ويُمنحُ في نهـايـةِ كل عـامٍ ربع مـا تم بيعُهُ من إنتاجِ مصنعِهِ.

البنـد الســـابع: يُعـاد فتحُ المعـاهـدِ الزراعيـةِ والصـــنـاعيةِ مرةً أخرى وتُفتح صـــباحًا لطلبةِ

المرحلةِ الثانويةِ ومساءً للحاصلينَ على تعليمٍ متوسطٍ أو عالٍ (طلبة التعليم المفتوح كما تسمونهم) العاطلين منهم فقط وتكون شهادتها معتمدة ويُقبلُ التوظيفُ بها في الهيئاتِ الحكومية.

البندُ الثامن: يتمُ الاتفاقُ مع وزارةِ المعارفِ على غلقِ كليةِ التجارةِ والحقوقِ والتربيةِ والأدابِ لمدة ٦ سنواتٍ لكفاية الخريجين العاطلين منها حتى الآن لإشغال الوظائف المطلوبة خلال تلك الفترة إذا وُجدت، وتجهزٌّ مباني تلك الكلياتِ لاستقبال طلبةِ التدريبِ الصناعي والزراعي لدراسةِ النظري والعملي إذا أمكن.

البندُ التاسع: تُعطى مهلةٌ مدتُها شهرٌ للتجارِ لتصفيةِ المخزونِ من البضائعِ الموجودة بمخازنهم وسوف يتم الإعلانُ بعدَ ذلكَ على قائمةِ السلعِ والبضاعةِ المتاحةِ للإتجارِ بها وسوفَ يحدَّدُ لها سعرٌ ثابتٌ للمستهلكِ يُعلنُ في نشرةٍ يوميةٍ ولا يُسمحُ بالإتجار في سلعٍ أخرى أو التلاعبِ في الأسعارِ المُعلنة، وأذا حدثَ ذلك يتم الحجز على مخازنِ التاجر ومنافذ البيع التابعة له ويحرم من متابعةِ النشاطِ لمدةِ عام على أن يتسلمَ كل شهرٍ نصفَ ما تم بيعُهُ من

بضـــائعِهِ فقط، وإذا تكرر ذلك يُحجزُ عليه مرةً أخرى ويُحرمُ من التجـارةِ لمدةِ ثلاثِ ســـنواتٍ، ويستلمُ ربعَ ما تم بيعُهُ فقط.

البندُ العاشـــر: تُحســـبُ الرواتبُ والأجورُ بمبدأ الراتـبِ مقـابلِ الإنتـاج، لكل عـاملٍ حدٍ أدنـى من الإنتاجِ يؤخَذُ عليه الراتبَ وأقلَّ منه يخصـــم من راتبِهِ، وبحد أقصــــى من الإنتاج يســـتحق عنه مكافأةً تشجيعية.

البنـدُ الحـادي عشـــر: تُلغى جميعُ الأجـازاتِ الموســميةِ والرســميةِ ويســتعوضُ عنها بمكافأةٍ مـاديـةٍ مقدارها راتب شــــهر في نهاية كل عام، ويســتثنى من ذلك العطلة الأســبوعية يوم واحد بالإضـافة إلى سبع أيام أجازة سنوية تؤخذ بشكل منفرد وليســـت مجمعة بحد أقصــــى ثلاث أيام متتالية.

البندُ الثاني عشـــر: يتم إنشــــاء "شـــرطة أمن الاقتصـــــاد" وهي المســـؤولـة عن مراقبـةِ المســـتثمرين والمزارعين والتجـارِ ومـدى التزامِهم بـالقوانين أعلاه وكتـابـة تقـارير بـذلـك،

ويمتلك قوة ضـــبطية بمســـاعدة رجال الشـــرطة وســـــوف يتكون من الخريجين المتفوقين خلال العشرين عامًا السابقة والذين لا يقل تقديرهم عن "جيد"، ولكن عاطلين عن العمل وســـــوف يتم تدريبُهُم ســـتةَ أشـــهرٍ في أكاديميةِ الشـــرطة، ثم شـــــهرين في كل من وزارة التجارة والصـــناعة والزراعة، وبعد ذلك يتم تعيينُ الأكفأ منهم.
لم يشـــمـل هـذا الفرمـان جميع الإصـــلاحـات المطلوبة ولكن به النسبة الأكبر من الإصلاحات الضـروريـة، أدعوا الله بالتوفيق لنا ولكم والعيش بحياةٍ كريمةٍ، دعونا نتحمل كثيرًا الآن لنتحملَ الأقل بعد ذلك، بإذن الله.

المسئول عن الملف الاقتصادي

محمد علي باشا

أنهى كريم كتابةَ الفرمان بعد تعديلِ صـــيغتهِ ليكونَ ملائمًا للّكنة واللّهجة الحالية حتى يسـهل على مسـتمعِيهِ الفهم، ثم نظرَ إلى السـلطان محمد علي مبتسـمًا وعيناه يملؤها التفاؤل قائلاً:

- أنا بقيت متفائل جدًا معاليك بالفرمان دا واللي فيه، ربنا يقدرنا ونقدر نطبقه في الواقع.

تتسـعُ حدقةُ عينِ محمد علي ناظرًا لكريم مسـتغربًا من أخرِ كلمـاتِهِ ويراقبُه وهو ينصـــرفُ بعدَ أن ســـمحَ لهُ بالانصراف.

******

في الغرفةِ المجاورةِ كان الدكتور مشرفة يجلسُ يشربُ قهوتَهُ في بُطء وهدوء مستمعٍ لحديثِ هشام عما يمكنُ تنفيذُهُ في حلِّ أزمةِ التعليمِ الحاليةِ وأمامهم يجلسُ الدكتور مصطفى محمود مدخنًا السيجارة منصِتًا بتركيزٍ لهذا الحديثِ حتى بدأ الدكتور مشرفة بحديثِهِ بعد أن أنهى قهوتَهُ ووضعَهَا على المنضدةِ أمامه قائلاً:

- اسمحولي يا زملائي الأجلاء أن أعلنَ أن حلَّ أزمةِ التعليمِ تتلخصُ في ثلاثةِ محاور، محورِ المدرسة، محورِ المنهج، محورِ المعلم، لو استطعنا أن نتكاتف ونوجد حلول للمحاور دي، حنقدر نبني جيل متعلم متطور ذاتيًا لأن هذا الجيل سيكون هو صاحب القرارات التي سوف تنهي على تكرار تلك الأزمات، فبدون علم لا يوجد مستقبل، وبدون مستقبل لا يوجد أمان، وبدون الأمان تصبح الدولة مثل الغابة تنقسم فيها الكائنات إلى صائد وفريسة أو أصحاب سلطة وأصحاب لا شيء.

أشاد بحديثِهِ دكتور مصطفى محمود وأرادَ تأكيدَ وتوضيحَ رأيِهِ قائلاً:

- فعلًا أنا مع حضرتك جدًا في الرأي دا، الطفل لازم يخرج من دائرة الأزمة، لأنه نتيجة وليس سبب، حضرتك بتفكرني بفيلم تسجيلي ألماني عرضته في

حلقة سنة ٩٢ متصور بكاميرة دقيقة جدًا أيامها بكل تأكيد عن حياة النبتة، وكأن الطفل هو البذرة اللي لازم تتزرع في تربة صالحة اللي هي المدرسة ولازم فلاح يرعها ودا طبعا المعلم، والماية اللي بيسقيها الفلاح هو المنهج، لو حصل آي خلل في الثلاثة، بتتأثر بكل تأكيد النبتة وتخرج مشوهة.

- ممكن أضيف حاجة على كلام حضرتكم، أنا مع حضرتك يا دكتور مشرفة في نقطة المحاور المؤثرة على الأزمة، وأتفق برضه معاك يا دكتور مصطفى في تشبيهك القوي للطفل والنبتة، بس لو كانت البذرة جاية من ثمرة فاسدة عمر ما النبتة ما حتطلع سليمة، الأب والأم ليهم دور كبير في العملية التعليمة وأوقات كتير بيكونوا هما الأزمة الحقيقة للطفل، لازم نضيف محور رابع وهو أولياء الأمور.

كانت كلماتُ هشام ذا طابعٍ مريح على آذانِ كلٍّ من دكتور مصطفى ودكتور مشرفة وأيدوا إضافته حتى بدأ دكتور مشرفة حديثه قائلاً:

- يبقى لازم نبدأ بوضع عدة قرارات مبدئية وأولها رفع نسبة الإنفاق العام على التعليم في الموازنة العامة للدولة إلى ١٠٪ وتستمر في زياة سنوية

بمقدار ١٪ لتصل بعد ١٠ سنوات إلى ٢٠٪، وثاني قرار هو إلغاء النظام المعوَّق المسمى بالثانوية العامة نهائياً.

قفز هشام مهللًا سعيدًا ثم طافَ حولَ الغرفةِ رافعًا يديه مثل لاعبي كرة القدم حتى وصل لبابِ الغرفةِ وسجدَ سجدةَ شكرٍ ثم قامَ بتقبيلِ رأسِ الدكتور مشرفة، كل هذا والاثنان الآخران ينظران له بتعجبٍ واستغرابٍ شديدٍ وظهر عليهما الشكُّ في قواه العقليةِ ولاحظ هشام ذلك فضحِكَ وحاولَ تهدئة ملامحِ الريبةِ الظاهرة على وجوهم قائلاً:

- أنا أسف وبعتذر لحضرتك، أصلك ماتعرفش حضرتك قرار زي دا كنا مستنينه بقالنا قد إيه؟ في أجيال طلبة إتفرمت وضاع مستقبلها بسبب النظام ده، وأجيال أولياء أمور حالتهم إتبهدلت وبقت كرب وضاع حلمهم في ولادهم بسبب ضغط النظام ده، ونتيجة الطاحونة الفاشلة دي العك اللي إحنا فيه دلوقتي، أنا كهشام متفائل.
- أنا ممنون ليك على إشادتك بكلامي وسعادتك المفرطة ولكن تلك البداية ولم أكمل بعد، بالنسبة لمحور المدرسة حيتم تحويل ٢٥٪ من المدارس التعليم الأساسي لنظام المدارس الداخلية ملحق

معاها مبيت للطلبة التي تقع المدرسة الداخلية على مسافة تزيد عن ١٠ كيلو متر من منزلهم ومن في محيط أقل من ذلك يكون الموضوع إختياريًا لأولياء الأمور في بداية كل عام وسيكون نظام المدرسة كتالي:

أولًا الدراسة خمس أيام في الأسبوع وعطلة الجمعة والسبت يقضوها مع ذويهم.

ثانيًا يبدأ اليوم الدراسي من الساعة السابعة صباحًا وحتى الساعة الرابعة عصرًا.

ثالثًا يتكون اليوم الدارسي من ٨ حصص دراسية مقسمة إلى (٦ حصص علمية + ١ حصة تربوية وسلوكية + ١ نشاط) مدة الحصة ساعة كاملة وبعد كل ثلاث حصص تؤخذ راحة مدتها نصف ساعة.

رابعًا تنقسم الحصة قسمين، قسم لشرح المعلومة وقسم التطبيق والواجبات، ويساعده المعلم فيه، يمنع بتاتًا أن يطلب من الطالب آي واجبات إضافية يقوم بها بعد انتهاء يومه الدراسي.

خامسًا يتم استقبال في المدارس الداخلية كل الأطفال الذين وصل أعمارهم إلى ٤ سنوات ويسمى بـ " الجيل الأول " سيكون هذا الجيل هو أول ثمار التطوير بعد ١٠ سنوات من الآن.

حاول دكتور مصطفى محمود مقاطعته قائلاً:

- آسف لو قاطعت حضرتك لكن بالنسبة لموضوع مجانية التعليم حضرتك شايفه إزاي؟ لإنه موضوع شائك من فترة طويلة تزيد عن نصف قرن.

صمت قليلًا دكتور مشرفة ثم نظرَ لهشام وكأنهُ ينتظرُ منه سؤالًا لكن وجد هشام ينظرُ إليه متلهفًا منتظرًا منه إجابةَ سؤال دكتور مصطفى فأخذ نفسًا عميقًا وقال:

- المجانية من وجهة نظري حتبقى للمرحلة الأساسية فقط مرحلة "البنيان" كما أفضل تسميتها واللي مدتها ٥ سنوات دراسية، بعد ذلك في مرحلة التأهيل (المرحلة الإعدادية) ومدتها ٣ سنوات، ومرحلة القيادة (المرحلة الثانوية) وهي مدتها سنتين سوف يطبق بهما نظام المنح المخصصة للطلبة المتفوقين دراسيًا وأخلاقيًا والموهوبين فقط.
- آسف لو قاطعتك يا دكتور طب وبالنسبة للمدارس الخاصة الاستثمارية حيبقى وجهة نظرك إيه؟

- يا دكتور هشـــام يا عزيزي مافيش حاجة اســـمها اســـتثمــار فـي التعليم والربح فيــه يبقى فلوس، الاستثمار في التعليم والربح فيه يأتي من اختراعات متطورة للمســـتقبل، اللي عـايز يســـتثمر في العلم يســـتثمرها في البحث العلمي أو في مدارس بتدي حـاجـة مـاتقلش أهميتهـا عن الميـا والهواء والتغـذيـة لأى طفل ودول لازم يبقوا بـالمجـان أو بتكلفـة قليلـة لكن اللي ســـمعتـه منـك دا بقى نـادي أو ملهى ليلي باشتراك خيالي بيدفعه ولي الأمر عشان إبنه ينشغل عنـه ٩ شـــهور في الســـنـة ونص يومـه مش معـاه وتترجم بعثة إبنه في الأخر بشهادة بإمضاء صاحب الملهي عشان يتفاخر بيها الوالد.
- الحل إيه طيب يا دكتور مشرفة نقفلها أحسن يعني؟

ابتسم دكتور مشرفة وقال للدكتور مصطفي مازحاً:

- يحِظلك يا دكتور مصــطفى، مش لدرجة غلقها يعني أنــا محتــاج الأرض والبنــايــة بتجهيزاتهــا وطــاقم التدريس بتاعها أما غير كده مش عايز وعشـان كدا حأصدر قرار بالحجز علـي جميع المدارس الخاصة والتجريبية والاســتثمارية لمدة ١٠ ســنوات وســيتم التعويض لهم بنصف قيمة الأرض والبنايات حسب سعر الدولة ويتم الدفع على أقساط سنوية بعد سنتين

من الآن وسوف يُمنعُ إعطاءُ تصاريحَ ببناءِ مدارسَ خاصــةٍ نهائيًا إلّا بعد تخرُّجِ الجيلِ الأول وبشــروطٍ معينةٍ تتفقُ مع المحاورِ الأساسيةِ وتطويرها.

وقف هشام وانحنى احترامًا لتحية الدكتور مشرفة على قراراته ثم أشار بيديه الاثنين راسمًا كرة كبيرة وقال:

- وبالنسـبة للقنبلة الكبيرة.. المناهج اللي من حضــارة ٧٠٠٠ سنة دي، لازم نفجرها بأي شكل.
- بص يا دكتور هشام لازم كلمة تطوير المناهج يكون تطوير في أســلوب شــرح المعلومة مش بس في تغييرها، وأنا شــايف أن يتم إلغاء الرســوب في مرحلة البنيان نهائياً، حيث إنها مرحلة يجب أن نحبب الطفل في أن يطلب العلم كما يطلب الطعام والشـراب، تكون رغبته في تحصـيل المعلومة لأنه يلمسها في الواقع وليس فقط كحروف على صفحات الكتب، سـوف تتواجد بالتأكيد اختبارات، ليســت لنجاحه أو رسوبه وإنما لمعرفة نسبة تحصـيله من المعلومات وهل سـبب المشـكلة المعلم أم هو؟ وما ميوله؟ دورنا أن نكتشف مميزات كل طفل وننميها؟ ونعرف ما ينقصــه ونحاول نكمله أو نجعله يسـتغله بشكل صحيح.

علميًا لكل مرحلة عمرية هناك قدرات شخصية وسلوكية وعلمية يجب أن تتوافر في كل طفل طبيعي، ولكل مستوى ذكاء حجم من المعلومات يكفيه، نعرف ما يميز هذا الطفل ما هواياته؟ وهذا ما جعلني أن أقسّم المنهج التعليمي لثلاث أقسام وذلك بمساعدة الخبراء اليابانين وسيتم تحت إشرافهم بكل تأكيد، أولاً منهج علمي حسب عمر كل طفل وقدرة استيعاب عقله من المعلومات، ثانيًا منهج تربوي وسلوكي فلا يجب أن ندرس الدين حتى نتحدث عن الأخلاق والتربية، لأننا إذا ذكرنا الأخلاق والصفات الحميدة كمدخل للمعلومة سيكون الدين هو مصدرها من خلال قصص الأنبياء والرسل في مختلف الأديان فيجب أن أربط الطفل بسلوكيات وأخلاق دينه حتى يدرك أنه يجب ألا يسرق حتى يكون مثل النبي محمد صلى الله عليه وسلم موصوف بالصادق والأمين وليس لأنه يخاف أن تقطع يده، إنه يجب أن يُكرِمَ الضعفاء ولا ينفر منهم كما كان يفعل النبي عيسى عليه السلام، يتعلم أن يرغب في الجنة وليس فقط أن يخاف من النار، استخدام أسلوب الترغيب وليس الترهيب، فجميع السلوكيات والأخلاقيات مهما زاد التطور العلمي ستبقى أساسها الدين.

أما ثالثًا فهي الأنشــطة فيجب أن يمارس الطفل أي نوع نشــاط يفرغ فيه طاقته ويكتشــف من خلاله مايميزه وما النعمة التي وهبها الله له، أي نشــاط رياضي ثقافي فني علمي قيادي، فيجب أن يكون لنا دور في اكتشاف وتنمية موهبته.

شعر هشام هنا بإحساسين متناقضين، انبهاره بفكرة المنهج المقسّــم وخوفه من صــعوبة تطبيقه فحاول أن يستوضح أكثر منه حتى لا يفقد الأمل فقال:

- بالنســبة للفكرة في تطبيق المناهج دي ودرجة ارتباطها بالنجاح والسقوط حيكون إزاي عشــان دا حيفرق كتير في نجاحها وآسف لو بحبط حضرتك لكن الواقع فظيع.

رسم الدكتور مشرفة ابتسامةً بسيطةً ثمّ أجاب:

- زي ما قُلت سابقًا إن في المرحلة البنيان أو الابتدائية ســيتم إلغاء الرســوب فيها ولكن ســيكون هناك اختبارات لقياس نســبة تحصــيل الطفل من المعلم ودراســة أسباب انخفاض نسبة تحصيله، ويعتبر الناجح في هذا النظام الجديد من يكون تقديره في المنهج العلمي لا يقل عن مقبول وفي المنهج

التربوي جيد والأنشـــطة جيد، ويمنح منحة مجانية للتعليم لمدة عام في المرحلة الإعدادية والثانوية من يحصـــل على تقدير لا يقل عن جيد جدًا في الثلاث مناهج .. فبذلك سيخرج جيل متميز علميًا وسلوكيًا وموهوبًا مهما كانت موهبته ســوف يجدنا لدعمه وتميزه فيها.

بـالنســبـة للغـة الإنجليزيـة، يتم تقســيم منهج إيلتس"IELTS" على ١٠ أعوام لدراســته بشــكل كامل بديلًا عن المنهج المتعارف عليه حاليًا في المدارس حتى يقوم الطالب بالحصــول على تلك الشـــهادة قبل دخوله الكلية وهذا لن يتحقق إلا من خلال هذا النظام.

ويتم عمل برلمان صـــغير لكل مدرســـة مكون من أمناء الفصول المرشحين بالانتخاب ويقوموا بعمل اجتماع شـــهري لبحث المشـــاكل والمقترحات بحضور مشرف من المدرسة ومشرف من الوزارة، ويتكون برلمان أكبر لكل محافظة يكون أعضـــاؤه من رؤساء البرلمانات الصغيرة يعقد اجتماعه كل ٣ شهور بحضور مشرف من الوزارة لبحث المشاكل والاقتراحات وذلك لبث الثقافة السياسية الصحيحة

بين الأطفال منذ الصغر.

حاولَ الدكتور مصطفى محمود سؤالَه، ولكنه تراجع فلاحظ الدكتور مشرفة ذلك فقال له:

- شكل حضرتك يا دكتور عايز تقول حاجة، اتفضل دا شيء يشرفني وأكون ممنونلك بكل تأكيد، اتفضل يا دكتور.
- متشكر لذوق حضرتك يا دكتور، حضرتك كل الكلام خاص بجيل عنده ٤ سنوات قدامه عشر سنين في تطبيق نظرية حضرتك اللي مافيش جدال عليها إنها من أروع النظريات العلمية الحديثة في تطوير التعليم، لكن بالنسبة للجيل الحالي اللي في المدارس حاليًا حيكون مصيره إيه؟
- سيتم الإعلان عن توقّف الدراسة لمدة عام لإعادة تأهيل المدارس والمعلمين والطلبة وسوف تسمى بعام التطوير، على الطلبة والنظام القديم في مرحلتي الإعدادية والثانوية أن يقيموا ويحدّد مستواهم في اللغة الإنجليزية من خلال الاختبار الأون لاين على موقع جامعة كامبريدج البريطانية، وخلال هذا العام يجب أن ينهي اختبار ٤ مستويات إضافية والدراسة سوف تكون أون لاين فقط ويشترط ألا ينتقل إلى العام الدراسي القادم إلا بتقديم

شـــــهادة اجتيـازه لأربعـة مســـتويـات من جـامعـة كامبريدج.

أما عن الطلبة الباقين في المرحلة الابتدائية ســـوف يطلــب منهم بحــث من خلال زيــارة ١٠ أمــاكن تاريخية يقدم البحث ومرفق معه عدد من الصور له في تلـك الأمـاكن التـاريخيـة لا يقـل عـددهـا عن ٢٠ صــورة مختلفة في تلك الأماكن التاريخية ويقوم كل طفل بعمل فيديو يشــرح فيه زيارته ثم يقوم بمنـاقشــة البحث وشــرحه أمام أحد مشــرفي الوزارة في نـهاية العام.

- كلام رائع دكتور مشـــــرفة نيجي للفلاح اللي ممكن يخرب كل دا حضرتك حتعمل إيه معاه؟

- بص يـا دكتور هشـــــام زي مـا ضـــرب الـدكتور مصــــطفى مثـال إن الطفل نـابتة ولم يتـأثر بـالعوامل الســـلبيــة التي حولــه خريجين كليــة تربيــة خلال العشـرين سنة اللي فاتوا ولم يوفقوا في عمل تربوي حيكونوا همـا النبتـة اللي حشـــتغل عليهـا، زراعـة معلمين يليقوا بـالنظـام الجـديـد، ســـوف يتم عمـل دورات تــأهيليــة للنظــام الجــديــد لهم خلال عــام التطوير، واختيار الأفضـل منهم علميًا ونفسـيًا لتلك المهمة، وإذا كانت الضرورة تستدعي الاحتياج لعدد إضافي من المعلمين للمدارس الداخلية التابعة للنظام

الجديد يمكننا فتح الباب للمعلمين الذين يمارسون التعليم بالمدارس ولكن عليه أن يتفرغ لمدة عام كامل وينجح في الاختبارات النهائية.

أما بالنسبة للمعلمين الباقيين، سيتم خلال هذا العام عمل دورات علمية ونفسية وسوف يتم اختبارهم اختبارين بشكل دوري يتكرر كل عام بعد ذلك قبل الدراسة، الأول علمي في المادة المتخصص فيها والثاني نفسي، ويجب أن يجتاز الاثنين بتقدير لا يقل عن جيد جدًا في العلمي وجيد في النفسي حتى يعود للتدريس مرة أخرى، وإذا رسب يتم استبعاده من الوظيفة حتى اختبار العام القادم.

وبعد الانتهاء من عام التطوير ومع بداية العام الدراسي القادم تُحذف من المنهج جميع المعلومات التي ليست ذات فائدة حقيقية ولا يُستفادُ منها في العصر الحالي، ويجب على كل طالب تسليم شهادة اجتيازه مستوي إضافي في اللغة الإنجليزية مستخرجة من جامعة كامبريدج البريطانية قبل بداية العام الدراسي كل عام، وبالنسبة للخريجين من كلية التربية الذين لم يتم اختيارهم في المدارس الداخلية حسب النظام الجديد، يتم تشكيل لجنة

تضـــمُّهم تـابعة للإشـــراف الياباني وليس للوزارة وتسمى بــ "لجنة مراقبة الانضباط"، ووظيفتها أولًا تفتيش المدارس وعمل تقارير عن كل زيارة ويتم توزيعهم بشـــكل متغير كل فترة ولا يؤخذ بتقرير ضد مدرسة إلا إذا أجمعت ثلاث تقارير مختلفة من أفراد مختلفين من اللجنة على تلك النقاط، ثانيًا عمل اختبـار مفـاجئ خلال الترم الأول لطلبـة المدرســـة يكونوا هم المراقبين فيـه لتقييم المعلمين ودرجــة تحصـيل الطالب منهم وذلك يعكس مسـتوى الإدارة المدرسـية في متابعة المعلمين وإذا لم تتعدى نســبة النجـاح ٦٠٪ يُعـاد الاختبـار في الترم الثـاني وإذا تكرر التقييم تُستبعَد الإدارة المدرسية لمدة عام حتى يتم تأهيلها لتلك الوظيفة.

يحاول الدكتور مصــطفى أن يكملَ ما يســرده الدكتور مشرفة وكأنهُ يستنتجُ ما يفكرُ فيه قائلاً:

- اللي فهمته من كلام حضـــرتك وبالأســلوب دا إنك حتطبقـه على أوليـاء الأمور عشـــان الكل يتحرك بخطوات منتظمة نســبيًا كمحاولة لترميم الشـــروخ المنتشـرة اللي تفشـى بشـكل كبير في النظام العاجز دا.

أمال الدكتور مشــــرفة رأســـــه موافقًا بنظرةِ إعجابٍ بالدكتور مصطفى وهو يؤكد حديثه قائلاً:

- بكل تأكيد سيتم عمل دورات تثقيف سلوكي وتربوي قبل بداية كل عام لأولياء الأمور لتأهيلهم للتعامل مع الطالب والحفاظ على ما اكتســـبه بالمدرســـة والتحفيز عليه، ويشـــترط أن يجتازوا الاختبار النهائي بتقدير لا يقل عن جيد حتى يتم قبول ابنهم في المدرسة لدخول العام الدراسي الجديد.
- شابوه دكتوري العزيز.
- وبكدا يبقى يا عباقرة قدرنا نخطط لتطوير المحاور الأربعة بشكل كويس جدًا .. بشكل خرافي.

قالها هشام متفاخرًا بما انتهوا إليهِ وذهبَ لإعداد كاميرا الفيديو لتسجيل قراءةِ الدكتور مصطفى مشرفة لخطةِ التعليمِ المتطورة التي أنهوا جميع النقاط بشـــأنها حتى يرسل هذا التسجيل لجميع القنوات لإذاعته.

******

بعد أن أنهي هشام تسجيلَ البيانِ الرسمي من الدكتور مصطفى مشرفة الخاص بتطويرِ التعليم، خرجَ من الغرفةِ واستأذن الدكتور مصطفى محمود الدكتور مشرفة لأنه يريد أن يسيرَ مع هشام قليلاً، وبالفعل خرج الاثنان من مبنى الضيافةِ الملكية ثم أسندَ الدكتور مصطفى يده على كتفِ هشام قائلاً:

- هو مبنى الإذاعة بعيد عن هنا كتير.
- لا هو يدوب تلت ساعة بالعربية.
- طب ممكن نمشيها مع بعض، عايز أفتكر تاني لما كنت بمشي في شوارع البلد دي، يمكن دا يساعدني علي التفكير، وأدينا بنتكلم مع بعض.
- دا شرف ليا حضرتك، اتفضل.

وبالفعل تحرك الأثنان بخطوات راكزة وأخرج الدكتور مصطفى سيجارةً من جيبِهِ وأشعَلَها فبدا هشام متوترًا بسؤاله عندما قال:

- لو تسمحلي حضرتك يا دكتور أنا شايف حضرتك من ساعة ماقبلت مجلس الوزارة وبالأخص مع وزير الصحة وحضرتك ساكت حتى لما قعدنا مع الدكتور مشرفة كان كلام حضرتك محدود، أسف على تطفلي.

أخرج دخان ســيجارتِه وهو ينظرُ أمامَه بهدوءٍ ثم مال برأســه ناحية هشــام راســمًا ابتســامةً خفيفةً تحاول أن تخفّفَ ما ظهر ولاحظه هشام ثم قال:

- ما أكثر ما تعلمته على ســرير المســتشــفى.. فعلًا للأســف، الأزمة كبيرة وحلها بيلف في دماغي بس مين حيقبل الحلول دي، حل الأزمة يا هشام له أبعاد كتير، وكل بعد له تفاصيل أكتر، وكل تفصيلة عايزة زمن لفكّها، عندنا مســتشــفيات حكومية خالصــة ومستشفيات خاصّــة ماصّــة، دكتور ممتاز ودكتور امتياز، تمريض قسم شحاتة وتمريض قسم تشريح، تجارة أمراض وتجارة أعضــاء، أمراض مزمنة وأمراض ميراثيــة، أدويــة بتعــالج وأدويــة عــايزة تتعالج، الكمال لله وحده والمرض للجميع.

لم تســتطع ملامح هشــام أن تُكذِّبَ كلمات الدكتور مصطفى بل كانت مؤيدةً له بكثير من اليأس حتى قال:

- حضــرتك قُلت كل حاجة أنا للأســف دكتور في مستشفى حكومي والوضع مأساة بس أكيد في حلول تقدر تخفف الأزمة دي.
- أنت متخيل يا هشــام أن وزير الصــحة معندوش ثقة في أي حــاجــة في بلــده من أول الميــاه لحــد الأكــل والهوا وهو جــايبهم اســتيراد وتعقيم وفلتر، لأنــه

عارف وفاهم مقدار الوباء الصحي اللي في البلد.
- يعني مافيش أمل يا دكتور، أنا كنت رامي أمل على حضـــرتك في حلول للأزمة دي وأنا كل المشـــاكل اللي حضـــرتـك قُلتهـا، بس قُلـت يمكن يكون مع حضرتك فكر جديد.

توقَّف الدكتور مصطفى ورمى سيجارته على الأرضِ وأطفأها بقدمه ثم أمسك بكتفِ هشام قائلاً:
- بص يا هشام أنا كتبت قبل كده في كتاب لغز الموت "القشـــة في البحر يحركها التيار والغصـــن على الشـــجرة تحركـه الريح والإنســـان وحده هو الذي تحركـه الإرادة"، الحلول موجودة وأنـا دوري إني أقول الحلول دي، أنتم جـايبينّي عشـــان كـده، وأنـا حكون على قدر المسـؤولية يا هشـام ماتقلقش، بس حبيت أتناقش معاك، لكن أنت صـــح أنا لازم أقوم بدوري وهو إني أحط خط تمشـوا عليه ودا سـاعتها دوركم أنتم ربنا يعينكم.
- متشــكر يا دكتور وأنا أوعدك إننا حنعمل اللي علينا عشان ننفذ خطة حضرتك.
- الموضـــوع مش خطة ولا حاجة الموضـــوع حلول ثنائية لكل مشـــكلة، يعني مشـــكلة المســـتشـــفيات الحكومية منتهية الصـــلاحية، نعمل لها انتداب لوفد

طبي من ألمانيا يشـــكل لجنة تكون مســـؤولة عن المستـشـفيات الحكومية وتحدد تكاليف إعادة إنشـاء وتجهيز المستشفيات دي حتى تكون صـالحة لتقديم علاج آدمي، وهنقوم بتمويـل التجـديـدات دي من خلال أخذ ضعف الضريبة من المستشفيات الخاصة خلال الـ ١٠ سنين القادمة، أو أن تختار المستشفيات الخاصـــة أن تســـاهم في تجديدات اللجنة الألمانية المشرفة على تطوير المستشفيات الحكومية بمنح لا ترد ولا تقـل عن تجهيز ١٠٠ ســـرير وغرفتين عمليات مختلفة وصيدلية كاملة حسب المواصفات المحددة من اللجنة فقط وعلى أســـاســـها تعفى من الضريبة الجديدة لمدة ٣ سنوات.

- وبكده حضــرتك خلال ســنتين أو ٣ ســنين حيقبى عندنا فعلًا مســتشــفيات ينفع تعالج مريض وتحترم الـدكتور اللي طلع عينـه وعين أهلـه عشـــان يبقى دكتور.

ابتسم الدكتور مصطفى من تفاؤل هشام قائلاً:

- اللي اتجـدد الحجر بس أمـا البشـــر اللي حيبقى مع الحجر دا تعديله أصعب من اللي فات.

انحنى هشـــام برأســـه من اليأس وبعد أن اســـتيقظ من

غفوته قائلاً:
- عندك حق والله يا دكتور حضـــرتك بتقول فيها!، ممكن تلاقي دكتور شـــاطر فعلًا بس مدفون وســـط طقم دكاترة نفسيتهم وحقدهم واستغلالهم مهما كانوا كبار مايســـاووش طالب امتياز، الدكتور دا يا بيبقى زيهم عشـــان يقدر يعيش وســـطهم، يا إما يدوَّر على سفر وغيرنا يستفاد بيه.
- أنا معاك جدًا إن الدكاترة المصـــريين من أشـــطر الـدكـاترة في الـعـالم العربي ودا اللي بيخليهم مطلوبين، لكن ليه الطبيب الهندي اتميّز عنك، عشـــان هما عارفين إن وظيفة الدكتور شـــيء مقدس لخدمة البشــرية بيكون مركز احترام وتقدير من الجميع، الـدكتور الهندي عـايز يبقى طبيب من صـــغره، هنا الدكتور نقطة تفاخر للوالدين فقط، عملت طبقية في المجتمع، بقت كلية القمة عشـــان أتفاخر بيها، مســـمى كليات القمة مش موجود غير في مصـــر للأســـف، هي بقت قمة عشـــان درجة التفاخر اللي بيكسبه صاحبها هو أهله، مش لصعوبة دراســـتها مثلاً، لأن في أمريكا كلية الحقوق من أصـــعب الكليات دراســـة وتعتبر فعلًا من كليات القمة، حل أزمة الدكتور إنه يكون طبيب نجاحه في ٣ ســـنين التكليف مرتبط بتقريره عن كل مريض

وتقريره الشهري عن خدمة التمريض معه وتقريره عن إدارة المستشفى ودرجة السلامة بالمستشفى وتقرير عن الدكتور المشرف، أما عن الأستاذ الدكتور القديم حيشرف على تدريب دكتور امتياز المكلف.

- معاك حضرتك جدًا بس لازم برضه عدد الكليات يزيد، العدد المتخرج غير كافي.
- لازم طبعا يا هشام لكن مش دلوقتي.
- طب ومأساة قسم التمريض اللي ممكن تضيع أرواح دي حلها إيه؟

توقف الدكتور مصطفى وأشارَ لهشام أن يقتربَ ليساعدَهُ على الجلوسِ فوق كرسي متهالك بمحطة أتوبيس مهجورة وبعد تنهيدة طويلة قال:

- دي فعلًا مأساة، وظيفة مالهاش علاقة باللي بيحصل، بقت أسلوب شحاتة رخيص وممكن يوصل للابتزاز وطلب إتاوة وكأننا في رواية الحرافيش للأديب نجيب محفوظ، ابتزاز رخيص قدام خدمة ممكن تسعف أو تنقذ روح بني آدم والجزء الأحقر منهم اللي بقى شغال صبي جزار، اللي بينظف ويقسم الدبيحة حسب ما اللي شاريها عايز، مافيا وعصابة على كبير، ودي حلها من

وجهة نظري هو حلها من جذورها، إعادة تأهيل جميع قسم التمريض مع اختبارات علمية ونفسية وأخذ نسبة منهم لا تتعدى ١٠٪ من المتميزين والمقبولين في اختبارات إعادة التأهيل وتسمى "إشراف تمريض" ويتم عمل عقد عمل لمدة سنة فقط وتعاد الاختبارات بشكل سنوي، ويدخل الجميع تلك الاختبارات، فتلك الوظيفة ليست حِكرًا على أحد ولا ملكًا لأحد، المعايير اللي تناسب الوظيفة دي هي المعايير اللي حتحطها اللجنة الألمانية.

- طب وباقي العدد حضرتك حتقدر تغطيه إزاي؟
- مافيش حنمشي في اتجاهين الاتجاه الأول حنزود في كليات طب قسم للتمريض وحنسميه تمريض "ب" و دا حيقبل كل واحد حامل لشهادة عليا وحصل على دورة إسعافات خلال أخر ١٠ سنين وبيدرس سنة تمريض في الكلية والسنة الثانية يطبقها من خلال العملي في المستشفيات تحت إشراف تمريض "أ"، أما تمريض "أ" ودول طلبة معهد وكليات تمريض حيبدأ التوزيع على المستشفيات وتكملة دراستهم من خلال العمل مقابل مصاريف الدراسة وحيكون تحت مسئولية قسم "إشراف تمريض" وطبعًا طقم التمريض دا كله بيتنقل تعيينه بشكل دوري مرتين في السنة وتكون

مسؤولية توزيعهم على اللجنة الألمانية فقط.

- فعلًا عند حضرتك حق لازم الرقابة تبقى مش مننا، للأســـف مابقاش في ضـــمير، ولو موجود مابقاش مضمون صلاحيته.

- ودا اللي خلاني أقول في الأول انتداب وفد ألماني لمدة ١٠ سنين يكون مسؤول عن المستشفيات من تجهيزات وتوظيف وتقييم وطبعًا لازم كل ركن في المســـتشـــفيات دي يكون تحت مراقبة الكاميرات ويكون في كل مستشفى أعضاء من اللجنة مشرفين على إدارة المستشفى ككل عشان، وإحنا للأسف بقينا بنخاف من البني أدمين أكتر ما بنخاف من اللي خلقهم وخلقنا، وزي ما كتبت في كتاب من الشـــك إلى اليقين "الفضيلةُ صفةٌ إنسانيةٌ وليست حِكرًا علي دينٍ بعينِهِ ولا على مجتمعٍ بعينهِ ولا شـــخصٍ بعينِهِ، ولم تكن في يومٍ من الأيامِ خاصـــةً بنا نحن المســـلمين دونَ ســـوانا، فلدينا نحن المســـلمين من يحاربون الفضيلةَ أكثرَ من بعضِ دعاتِها في الغربِ لكنّنا الأولى بكل تأكيد"

******

أنفاسٌ ســـــريعةٌ تتصـــــارعُ دونَ توقفٍ وخطواتُ أقدامٍ لثلاثــة أشـــخـاصٍ تكـاد تلامس درجـاتِ الـدرجِ حتى وصـــلوا لبابٍ حديد، فأخرج أحدُهم ســـلســـلة مفاتيحِهِ يحـاول أن يعثرَ من بينِ أشـــعةِ الشـــمس الهاربةِ من فتحاتِ السقفِ الصـغيرةِ على المفتاحِ المقصـود وسطَ أصوات الأنفاسِ الهائجةِ الناتجةِ عن صعودِ هذا الدرجِ بتلك السـرعةِ يقطعُها بين الحين والأخر صـوتُ سـعالٍ خشـــنٍ متقطع، عثُر على المفتاحِ أخيرًا ودخل ثلاثتُهُم متعكزين على بعضــهم بعضًــا، فوجدوا أنفســهُم بداخل غرفةٍ لا تتعدى مســاحتُها سـتة أمتار، بها أربعة مقاعدَ خشبيةٍ واحدٌ منهم فقط صـالحٌ للاستعمال شبه الآدامي وبجوارهم مقبرةٌ جماعيةٌ لكومةٍ من أعقابِ الســـجائرِ وأعلاهُم ثلاثُ نوافذَ مفتوحة ترحبُ بأشعةِ الشمسِ التي احتلت النســـبةَ الأكبرَ من أرضـــياتِ وحوائطِ الغرفة، فـذهـبَ أحـدُهُم دونَ اكتراثٍ بـالبـاقي ليجلسَ على هـذا المقعدِ واكتفيا الآخران بأن وضَعا ظهرهما على أقربِ حائطٍ لهما، وبعد أن مرت عشـرات الثواني اسـتطاعوا فيها تهدئةَ نبضــاتِ قلبيهما الســريعة، حتى كَسَــرَ علّامَ هذا الصمتَ قائلًا لمن يجلس على المقعد:

- الحمدلله يا صـــالح باشـــا عرفنا نفلت من الألتراس اللي واقفين على بـاب الإســـتاد بأعجوبة ولولا إني عـارف طريق غرفة المراقبة بتاعت الأمن دي اللي

في أخر الإستاد كانوا لاقونا والحمدلله أنت والأستاذ رياض بخير.

فألتفتَ كابتن صالح سليم الجالس على المقعدِ منفعلًا قائلاً:

- بخير؟ .. أنت مش شايف البهدلة اللي اتبهدلتها؟! إيه اللي حصل لشباب مصر ليه بقيتوا بالهمجية دي، الإستاد اللي قدامك دا طول عمره شايل شباب وأطفال وناس كبيرة كانوا بيجوا عشان يفرغوا كبت أو يعبروا عن حبهم للنادي أو للمنتخب، طول عمر الدوري فيه منافسة لكن ماحدش مات بسبب حبه لكورة هوا، اللي سمعته منك يا علّام بجد دمّرني، رابطة مشجين تموت ودمهم يتحفر على كراسي الإستاد أو وهما داخلين الإستاد، وليه عكروا الرياضة لما دخلوا السياسة، السياسة لعبة بتنجس أي حد منها أومال اللي مش منها حيبقى إيه.

حاولَ علّام أن يهدئ من روْعِ الكابتن صالح بقولِه:

- ودا سبب اختياري لحضرتك لأني واثق إنك حتقدر تحل الأزمة دي بحلول صارمة وموزونة وعادلة في نفس الوقت.

اتجهت حدقة عين كابتن صـــالح ناحية علّام ونظر له في حدَّةٍ وقال:

- فعلًا لازم تبقى قرارات قويـة وأولهـا حـل جميع الاتحـادات الريـاضـــيـة، وتـأســـيس اتحـادين واحد للألعاب الجماعية والتاني للألعاب الفردية وعمل مجلس لكل لعبة تابعة للاتحاد بتاعها ويكون أعضاء المجلس من أفضـل ٥ لاعبين تم تقييمهم من الاتحاد الدولي للعبة خلال أخر ٢٠ سنة.
- وبكده فعلًا نبقى خلصـنا من امبراطورية الاتحادات الإدارية اللي قراراتها بعيدة تمامًا عن أي مصـــلحة للريـاضــــة أو للاعبين، طب حضـــرتك بالنســـبة لموضـوع الألتراس حتلغيه ولا حتسيبه ولا حيكون رأي حضرتك إيه؟

نهضَ كابتن صالح من مقعدهِ وتقدَّم عدةَ خطواتٍ ناحية النافذةِ المطلة على منتصـــفِ الإســـتاد وتنفس ببطء ثم تنهّدَ وقال:

- زمان كان صـلة المشجع بالإستاد ممكن تكون حُبه للكورة، بيحـب فعلًا النـادي اللي بيشـــجعـه، متعلق بلعيب معين، بيفرغ كبت جواه، كان ممكن ســاعتها تمنعـه بـأي حِجـة أو قرار غبي حيتـاخـد وقتهـا وخلاص لكن دلوقتي اللي بيربطـه بيـه دم، ودا صعب إنك تقطعه مهما كان.

- يعني أفهم من حضـــرتك إنك حتســـيبه موجود في الساحة؟
- دا مافيهوش كلام، بس حنقيده بشـوية نظام، ابنك لو غلط عمرك ما حتقتله لكن حتعاقبه أو حتفرض عليه قيود عشــان مايغلطش تاني، ودول شـباب صــغير ولازم تخاطب عقلهم، إحنا حنديهم الشـــرعية إنهم يأســـــوا اتحاد مشـــجعين لناديهم بشـــكل قانوني ويكونوا هما فعلًا أعضاء رسمين مسجلين باتحادهم وســـاعتها حقدر أخاطب كيان قدامي وقصـــاد دا حديهم مميزات، يعني مثلًا مجلس كرة القدم حيبقى ليـه موقع إلكتروني رســـمي ومن خلالـه حتتعلن مواعيد المباريات و اســم الإســتاد ومن خلاله بس بيتم حجز التذاكر عشـــان نضـــمن إننا لغينا الســوق السودا خالص ونضمن سلامتهم برضه وحخصص لاتحاد المشجعين ٦٠٪ من عدد التذاكر المخصصة لنــاديهم و٢٠٪ لأعضــــاء النــادي و٢٠٪ لمُحبي النادي.

بَدَتْ على علّام ملامح السـعادة إلا أنه تذكر شـيئًا مُهمًا فانقلبت ســـعادتُهُ لنظرةِ يأسٍ واضـــطر لمقاطعة كابتن صالح قائلاً:
- بس لو حصل أي شغب أو صدام أو تلفيات حيكون

الموقف هنا إيه؟ .. أنا أسف لكن أنا شغال هنا وعارف إيه اللي بيحصل وقد إيه الموضوع كارثي.

قاطعهُما الفنان رياض مازحًا:

- ما صالح أفندي قالك يا ترعة المفهومية، حيبقى ليهم كيان، يعني هما المسؤولين عن أي أضرار تحصل بسببهم.

أشار كابتن صالح بيدهِ مؤيدًا لإجابة الفنان رياض وأكملَ قائلاً:

- بالظبط حضرتك والعقوبة حتبدأ من تقليل نسبة التذاكر المحددة لهم مسبقًا إلى ٢٠٪ لمدة مبارتين متتاليتين ودفع تكلفة التلفيات، وإذا تكرر خطأهم تكون العقوبة حرمانهم من حضور ٤ مباريات متتالية بالإضافة لتعويض قيمة التلفيات، حتى حرمانهم ١٠ مباريات متتالية ودفع تكلفة التلفيات وغرامة لا تقل عن ضعف تكلفة التلفيات حتى ٤ أضعاف تكلفة التلفيات المحددة حسب حجم الخطأ والأضرار الناتجة عنه.

أومأ علّام برأسه مبتسمًا قائلاً:

- فعلًا قرار صارم وعادل، أنا كان اختياري صح.

- كده يبقى فاضل أزمتين وحلهم أسهل من اللي فات.
- اللي هما إيه حضـــرتك؟ أكيد الدوري العام من ضمنهم؟
- عندك حق يا علّام دا أول الأزمات وحله في حله بمعنى أصـــح يتوقف لمدة ســـنة ولما يرجع حيكون مكون من ٣٢ فرقـة لكـل نـادي فرقتين، فرقـة المحترفين الأساسية وفرقة الشباب تحت سن ٢١ ســـنة وتحديد ترتيب كل نادي من نتيجة الفرقتين مجمعة، ويتم اختيار أفضـــل ٢٠ لاعب من الدوري بشكل عام تحضيرًا للمنتخب، وطبعًا ممنوع شراء أي لاعب أجنبي، ويتم تخصـــيص ١٠٪ من عقد شـــراء أي لاعب محلي لبناء ٦ ملاعب كرة كبيرة بالصعيد، وفي نفس الوقت يتم عمل دوري للمدارس والمراكز الرياضـــية ويتم اختيار ١٠٠ لاعب منهم تحت سن ١٦ سنة، ويتم تدريبهم بشكل خاص على أن يتم إعفـاء أقـل ٢٠ لاعـب في التقييم من هـذا التدريب كل عام ولمدة ٣ ســـنوات حتى يتم ضـــم المتبقين وهم ٢٠ لاعب لأفضل ٢٠ لاعب بالدوري العام ويتم تحضير المنتخب القومي منهم.

آخر قرار حيخص الدوري العام هو استغلال سـنة التوقف في عمل دورة تدريبية أكاديمية لــــــ ١٠٠ مدرب مصـري لتحسـين كفاءات المدربين على أن

تتكرر كل عامين من بداية الدوري مرة أخرى.

ظهرت على علّام ملامح الانبهار بتلك الفكرة فأسرع بسؤاله:

- وإيه تاني أزمة من وجهة نظر حضرتك؟
- الاهتمام بالألعاب الفردية وتخصيص ٤٠٪ من موازنة الوزارة لاتحاد الألعاب الفردية لمدة ٤ سنوات تشمل معسكرات تدريبية داخلية وخارجية ودعم كل من يحقق بطولة دولية بمنحه منحة تغطي مصروفات تدريبه لمدة عام.

كان تأثيرُ سماعِ تلك الفكرةِ على الفنان رياض القصبجي إيجابيًا بشكلٍ كبيرٍ، مما جعله يصفقُ له ويتقدمُ مصافحًا قائلاً:

- جنابك حد محترم والله.
- متشكر لذوقك يا أستاذ رياض، ممكن بعد إذنكم تسيبوني لوحدي شوية عايز أقعد أسرح في المنظر دا بعد اللي سمعته في اجتماعنا مع مجلس الحكومة واللي زوده بالتفصيل علّام بقيت محتاج أقعد مع نفسي شوية هنا.

قال هذه الكلمات ثم أفرغ ما بصدره من دخان سجائره

بهدوء ثم أدار ظهره لهما وأشار علّام للفنان رياض أن يتبعه وهو يوجهُ كلامه لكابتن صالح قائلاً:

- براحة حضـــرتك أنا والفنان رياض حنلف شـــوية حوالين الإستاد و نرجعلك تاني.

وبالفعلِ تحركَ علّام والفنان رياض قبلَهُ بخطواتٍ قليلةٍ ثم خرجَ الاثنان من تلك الغرفة وعلّام ممســكٌ بمقبضِ البابِ ويجذبُهُ ناحيتَه ويراقبُ نظرةَ كابتن صــالح سـليم الصــارمة الباحثة عن شـــيءٍ يفقده بشـــدة .. شـــيء لم يشاهده حتى الآن.

******

يقفُ بثباتٍ وهو متكئٌ على الحائطِ ممسكًا بالجريدةِ يقلبُها دونَ أن يقرأ منها شيئًا ينظرُ من أسفلِ نظارتِهِ السوداء على المارة ولكنه يراقب بوابةَ قسمِ الشرطة الملاصق للإستاد، وعلّام يحاول أن يفهم ما يحدث ولكنه اكتفى بمشاهدة ذلك حتى فقد الأمل في أن يفهم أو يستوعب هذا فقال له متسائلاً:

- ياريت حضرتك تفهميني طلبت مني أشتريلك نظارة شمس سودا وجرنال وواقف بقالك ١٠ دقائق بتبص على القسم وفاضلنا دقيقتين واتنين عساكر ولاد حلال يسحبونا على الحجز ويلعبوا على قفانا دمينو.

نظر له الفنان رياض بغضب ويرتسم على وجهِهِ الاشمئزاز وهو يقول:

- هو بعينه وبغباوته ووشه العِكر، هو أنا يا تلميذ التور يا جهبز عصرك مسكت ملف إيه بعد اختيارك النِور ليا.

رد علّام عليه غاضباً:

- الملف الأمني.
- يبقى يا ترعة المفهومية مش محتاجة نباهة، أنا دلوقتي عامل فيها بوليس سري يستعصى على أي بني آدم إنه ياخد باله مني أو يكشفني وبعد ما اللي

ســـمعته في اجتماع مجلس الوزارة وســـمعته منك كنت لازم أشوف وأحقق بنفسي.

رفع علّام حاجبَه الأيمن وتتجهُ شـــفتاه في نفس الاتجاه وهو يقول ساخراً:

- وحضـــرتـك فـاكر إن النضـــارة دي مع قرايتـك للجورنال ماخلتش حد يشـك فينا، هو في حد أصـلًا دلوقتي بيقرا جورنال ولو حيقراه حيبقى في شـارع وبعدين حضـرتك الحركات دي انتوا هرسـتوها في ١٥٠ فيلم عربي قديم في الخمســـينـات بس وكنتوا أصلًا بتألشوا عليها.

نظر له الفنان رياض نظرة اسـتخفاف و اشـمئزاز بما قاله علّام ثم يقول له:

- بتألشـوا، اسـمها بتألشـوا، كمان ألدغ، هي سـنانك راحت ولا عجزت، اسـمها ًكنتوا بتألّسـوا، ققلت معاك أوي دي شوف غيرها قول بتسخروا، لا لا لا بلاش دي إحنا ناس محترمة، قول بنظهر الشخصية بكل كوميديا.

نظر له علّام مصـدومًا مما قاله وأدرك إنه في صـراع

للحضارات سينهي على ما تبقى من ذكائه وأنه سيكون نكتة أصدقائه وبالأخص كريم لأنه كان اختياره وأصر عليه وأقنعهم به فيجب أن يعرف هل سيكون حلًا لأزمة الأمن بالفعل أم أنهم خسروا فرصة لن تعود بسبب اختياره لتلك الشخصية، فاتخذ قرارًا بأن لا يجادل ولا يناقش ويسير معه كما يريد فحاول أن يرسم الابتسامة متظاهرًا بغبائه قائلاً:

- عندك حق إزاي ما أخدتش بالي، إيه رأيك نقعد على القهوة اللي هناك دي، منها نقدر نتكلم ونراقب بشكل أفضل، ويبقى غيرنا مكان مراقبتنا عشان التمويه برضه.

نظر له الفنان رياض مبتسمًا ونزل بكف يده على كتف علّام مصافحًا قائلاً:

- عفارم عليك يا بلاص الفكر أهو أنت كده عجبتني يلا بينا على القهوة.

عبرا الطريق بأعجوبةٍ حتى وصلا للمقهى ووجدا طاولة بكرسيين فارغين في أخر الرصيف، لكنها تعتبر في منتصف الطريق من كثرة الطاولات المزدحمة لزبائن المقهي، جلسا أخيرًا ويطلب علّام من عامل القهوة كوبين من الشاي الساخن، ولم يعترض

الفنان رياض على طلبه وبدأ حديثه:
- بس يا علّام رغم إني ماعنديش خبرة بمجال الإدارة وكمان متخصصة في وزارة بحجم وزارة الداخلية، وحاسس إن واحد غبي دلقني في البحر عشان أنقذ تؤامه الغبي وأنا مابعرفش أعوم أصلاً، فلازم أطبش وأنقذ نفسي وأنقذ الغبي مش عشان أخوه اللي رماني لا دا يولع بجاز، بس عشان كدا كدا بقيت في البحر ولازم أتصرّف، فاهمني يا ترعة المفهومية؟!!

يرد عليه علّام ضاحكًا:
- تصدق بقى عاجبني الوصف ده، فاهم حضرتك أكيد وعايز أفهم من حضرتك شايف الحل يبتدي منين؟
يداعبُ الفنان رياض شاربه بيديه مُتأملًا ثم يقول:
- أي قرار حقوله حيعتبر مجنون لإني بتكلم في تغيير شامل لشكل البوليس أو الداخلية بقولك إيه أكتب ورايا عشان الكلام ماياخدنيش وأنساه.

طلب علّام من عامل القهوة عدة أوراق وأخرج قلمًا واستعد للكتابة ما يقوله الفنان رياض الذي بدأ حديثه قائلاً:
- يجب أن تكون الإصلاحات من البداية من أول

أكاديمية الشـــرطة ومســـتوى الطالب بها يجب أن يكون القبول للطلبـة الحـاصـــلين في الثـانويـة على مجموع ٧٠٪ على الأقل، ويتم إضـافة اختبار نفسي واختبار مســـتوى الذكاء ضـــمن اختبارات القبول ويكون التقييم النهـائي مبني على التقييم التراكمي لجميع الاختبارات وليس بنظـام المســـتويات الذي يكون فيـه اختبـار الهيئـة هو المتحكم في القبول أو الرفض والذي تحكمه الوســـاطة بشـــكل كبير، هذا ويجب أن تضـاف مواد نفسـية دارسـية بالأكاديمية، ويتم عمل أقسـام تخصـصـية من السـنة الثالثة وهي: أمن وحراســـات خـاصـــة، مباحث، مرور، قوات مكافحة. وهذا التخصُّص يضمن التركيز للطالب في قسم واحد يستطيع أن يطوّر نفسه ويتم توزيعه أثناء إجراءات التعيين على هذا الأساس.

قاطعه علّام مضيفاً:

- وطـبـعًـا فكرة الـتـخصـــص دي حـتخلـي الـمواد التخصـصـية متطورة أكتر لأن دي التخصـصـات اللي حتفيد المجتمع بشكل عام.

أشار الفنان رياض برأسه موافقًا وأكمل قائلاً:

- بالظبط.. وأوائل الدفعة ســـيتم تخييرهم ما بين إنهم يكملوا في القسم المتخصصين فيه أو إنهم ينضموا

لإدارة "الرقابة والتقييم" وهي إدارة منفصلة عن وزارة الداخلية، ومتصلة مباشرة بالمجلس الرقابي المكوَّن من وزير الداخلية ووزير العدل ورئيس مجلس الشعب ووظفيتها الرقابة على رجال الشرطة بشكل خاص وسير العمل في الأقسام ومنظومة الأمن بشكل عام وتقديم تقارير بذلك بشكل دوري مستمر".

- فعلًا لازم اللي يراقب ويحاسب يكون من برة المنظومة وبرضه لازم يكون كُفء لدا.

نظر الفنان رياض حوله وظهر على وجهه ملامح الحزن ثم تنهد وقال:

- الشباب اللي عاطل حوالينا لازم نستغله صح، فتح باب للشباب الخريجين حديثًا في أخر ٥ سنوات للانضمام لأكاديمية الشرطة (ب) وبعد ما يجتازوا اختبارات القبول ويقوموا بالدارسة داخل الأكاديمية لمدة سنتين ويتخصصوا بالأعمال الإدارية والتنظيمية ونظم المعلومات الخاصة بالداخلية، وممكن للي مايتوفقش في اختبارات الأكاديمية إنه يقدم في معهد رجال الشرطة بدل معهد أمناء الشرطة، ويكون للحاصلين على تقدير لا يقل عن ٧٠٪ في مرحلة الثانوية ويمروا باختبارات زي

أكاديمية الشرطة للقبول بالكامل وتكون مدة دراستهم أربع سنوات وتكون الدراسة مقسمة لعدة أقسام قوات مكافحة، مرور، أمن وحراسة.

وضحَ على علّام ملامح عدم فهم تلك النقطة بشكل كبير فبادر بسؤاله قائلاً:

- حضرتك تقصد هنا حتلغي معهد الأمناء ولا حتضيف فئة تانية غير ضباط الأكاديمية وأمناء المعهد والعساكر بخريجين معهد رجال الشرطة؟
- حلغي يا علّام أساسيات المعهد القديم وحغير اسمه ويبقى له منهج دارسي مختلف ويتخرج منه مساعدين للضباط على مستوى تعليمي أفضل ودارس الموضوع بشكل أكبر، بمعنى أصح كفاية إن العساكر كلها تبقى "سُمعة" ودول اللي حيبقوا مسؤولين عن وظيفة عسكري الدرك أو عسكري الدورية اللي حيرجع تاني بإذن الله بشباب متعلم وعايز يشتغل.

انقلبت تعبيرات علّام إلى الانبهار بالفكرة ورحّب بها قائلاً:

- تمام جداً، حضرتك كده بتحضر بذرة كويسة من جيل أمني متطور ومتعلم ومحدد مهامه ووظيفته وبكدا يبقى فاضل المشكلة الكبيرة، قسم الشرطة

بكل اللي فيه وبيحصل جواه.

فنظرَ له الفنان رياض وقال:

- إحنا شعب نخاف مانختشيش، حل القسم دا واللي زيه، زي ما هو مأمن نفسه من برة لازم نتأمن إحنا منه من جوه، اكتب ورايا النقطة دي "يجب إضافة نظامًا كاملًا للمراقبة بالكاميرات ٢٤ ساعة لجميع أقسام الشرطة ونقاط الشرطة والمديريات، وسيكون هذا تحت إشراف ومتابعة إدارة الرقابة والتقييم فقط".
- حتى في الحجز؟

قاطعه علّام متسائلًا حتى أجابه الفنان رياض مؤكدًا:

- حتى في الحجز، لازم كل حتة تتراقب بالكاميرات، أمان لينا كمواطنين وأمان للداخلية دا غير إني عرفت من وزير العدل عدد الخريجين الرهيب من كلية الحقوق ورغم تقديراتهم العالية مش لاقيين شغل في النيابة، بسبب دا حيكون اقتراحي دا، اكتب "يتم تخصيص مكتب للنيابة العامة في كل قسم بوكيلين للنيابة ليتناوبا صباحًا ومساءًا لتقليل الضغط على مقر النيابة العامة وتوفير للوقت وتسريع الإجراءات ويعتبر جهة رقابية منفصلة تابعة أيضًا لإدارة الرقابة والتقييم وبالإضافة للاستفادة من

تعيين عـدد كبير من الخريجين المتفوقين المؤهلين لتلك الوظيفة ولكن التعيين النيابي أهملهم.

نظر له علّام وصفّقَ له بيديه وهو يقول:
- فعلًا "حل مالوش حل" كما قال الشاعر البوهيمي.
- متشـــكر يا بلاص الفكر، وبكدا حيبقى فاضـــل آخر حاجة وأصعبها.
انقلبَ وجهُ علّام لكثيرٍ من الاستغرابِ قائلًا:
- إيه؟ .. إيه اللي فاضل؟
في تلك اللحظة وصـل عامل القهوة ووضـع كوبين من الشـــاي وانصـــرف بعد أن شـــكره علّام وأشـــار للفنان رياض أن يأخذ كوبَـه ومد يده بالفعل وأخذ كوبه وأخذ منه رشـــفة واحدة ثم بصـــقَها كلها مرة واحدة لتســـتقر علـــي حذاء علّام الذي انتفض من مكانه محاولًا تجنُّبَ ما حدث ولكنّـه فشـــل في ذلك، ونظر الفنان رياض غاضـــبًا مشـــمئزًا لعلّام ثم للشـــاي المحاصـــرِ في كوبه قائلاً:
- دا منقوع براطيش مش شـاي أكيد، والسـواد دا لون الجذم اللي منقوعة، الله يقرفك أنت واللي واقف على النصبة، مش عايز أشرب حاجة ولا أقولك!! اشرب الاتنين وسيبني أكمل براحتي واكتب ورايا.

لم يجادلْهُ علّام وعادَ مرةً أخرى لمقعدِ دونَ أن ينطقَ بكلمةٍ حتى أكملَ الفنان رياض حديثَه قائلاً:

- اكتب وأنت ساكت .. "الأزمةُ الحقيقيةُ هي تطهيرِ الداخليةِ من الفاسدين، وهذا سوف يتم من خلال اتخاذ قرار بأن أي ضابط أو فرد أمن تم اتهامه بتهمة تسيء لأدائِهِ الوظيفي أو السلوكي أو النفسي يعود التحقيقُ فيها مرةً أخرى مع إدارةِ الرقابةِ والتقييمِ ويتم إيقافُه عن العمل لحين الانتهاء من التحقيق والبت في أمره، ويتم إيقاف الترقيات لمدة عام، وخلال هذا العام تبدأ مرحلةُ تأهيلِ الضباط وأفرادِ الأمنِ الباقيين تأهيلًا مهنيًا ونفسيًا وسلوكيًا وبدنيًا، وتكون فترة التأهيل تلك هي المقياسُ لتقييمِ من يصلح للاستمرار، ومن سيُنقل للوظائف الإدارية أو يُستغنى عنه بشكلٍ نهائي، أما عن اللواءات فشكرًا جزيلًا لخدامتهم ويتم الاكتفاء بأفضل ١٠٪ منهم للاستفادة من خبراتهم وستكون وظيفةَ تحديدِ الباقيين من اللواءاتِ هي من اختصاص إدارة الرقابة والتقييم"، دا مفهوم التطهير اللي أعرفه غير كدا ماعرفش يا علّام، واختمها بقى وأكتب " لكي يا مصر الأمان".

******

مرَّ أكثرَ من أســـبوعٍ ولم يتبقى على انتهاء صـــلاحيةِ التعويذةِ إلا يومان وكريم وهشـــام وعلّام مُختفين تمامًا منـذُ أن تركوا الحكمـاءَ ليُعلنوا عن مقترحـاتِهِم وبـدأ الصخبُ الإعلامي الدولي والمحلي والتساؤل عن سببِ هذا الاختفاء المريب وشـــكَّك البعضُ في حقيقة هذه التجربـةِ من الأســـاسِ وأنـه تم خِداعُهُم بشـــكل متقَن، ولذلك اضـطرَّ مجلسُ الحكماءِ أن يتحركَ بنفسِـهِ ويتفقدَ ما يحدثُ بعدَ أن سُمحَ لهُم بالخروجِ والإفراجِ عنهم من الإقامةِ الجبريةِ والمنعِ الإعلاميِّ اللذانِ تعرضـــوا لهما منذُ اختفاءِ الثلاثي، وبالفعلِ توجَّهَ محمد علي باشـا بعد أن بدَّلَ ملابسَـــهُ بملابسَ عصـــريةٍ نوعًا ما إلى مجمَّعِ التحريرِ وقد صُـــدِمَ من انطبـاعـات ووجوه المواطنينَ الخارجينَ من المجمّع فقالَ في نفسِه:

- هـذا مو مجمّع تحرير، هـذا مجمع تكفير، كـلُّ الخـارجين منـه يُطلقون اللعنـات والـدعوات على الموظفين والموظفـات، الكُّل كفران من الزحـامـات والإختنـاقات.

لم يكملْ تلكَ الجملةِ حتى شـعَرَ بكتفِ شـخصٍ يمرُّ من خلفِهِ، كـان هـذا الكتف ســـببًـا في قذفِـهِ إلى دائرة من طوابيرِ المواطنين التي ســـبَّبَهـا التزاحمُ وقوةُ الـدفعِ والاحتكـاك، وتســـير تلـكَ الدائرةِ وِفقًا لقوانينِ الفيزياء

وبـالأخص قـانون الإزاحـة، ظـل يـدور معهم دون أن يحرّكَ شيئًا في جسده، فهُم جميعًا أصبحوا كيانًا واحدًا يدور في دوامـةٍ مثلَ الرحـايـة، قرَّرَ أن يخرجَ مِن تلكَ الدوامةِ بعد مرورِ أكثرَ من ســاعةٍ ونصــف وهو على نفسِ الحال، لمحَ أحد المواطنينَ وقد اتضحَ من طريقتِهِ أنـه من صـــاحـب خبراتٍ كبيرةٍ في الخروجِ من هذا التلاحُم، ظلَّ يراقبُهُ وهو يســبحُ في هذا التلاحمِ بكتفيهِ يمينًا ويســارًا حتى وصـــلَ إلى بابِ غرفة معين على أطرافِ تلـك الـدائرة وقفز ليســقطَ على عتبـةِ بـابهـا ويتلاشـــي من أمامِهِ، وبذلك عرف طريقة الخروج من هذه النهايةِ القاسية، أخذ نفسًا عميقًا وبدأ في السباحة، ولكن كانت موجة البشــر شــديدة عليه فعافرَ مرةً ثانيةً وثالثةً حتى وصل لطرفِ تلك الدائرة.

وظـلَّ ينتظرُ قدومَ الشـــطِّ أو عتبـةِ البـاب وبـالفعلِ قفزَ بـأعجوبـةٍ وعنـدمـا لمســت قدمُـه الأرضَ تدحرجَ عدة مرات، وذلك لأنه يفتقدُ لمهارةِ المواطن المصـــري في القفز من شــيء يســير بســرعة على أرضٍ ثابتةٍ أو أقلَّ ســـرعـةً منـهُ والتي تعلمهـا من صـــعودهِ ونزولـه من الحـافلاتِ أو القطـارات، حـاول محمد على باشا أن يلملمَ مـاتبقى لـه من قوةٍ حتى يســتطيعَ أن ينهضَ وبعد عدةِ محـاولاتٍ نجحَ ونـهضَ وهو ينظرُ لمن عبروا من فوقِهِ

ومرُّوا مِن جانبِهِ ولم يعيروه أي اهتمام أو يقتربوا منه ليساعدوه أو يطمئنوا عليه، الكل يرتدي قناعَ المتوفىَّ حديثًا شاردين يشعُّون ببرودًا طاغيًا، مما جعله يقولُ من صدمتِهِ:

- أنا وقعت في جبّانة ولا إيه؟ وجوه ما فيها حياة، أموات يزاحمون أموات.

ظلَّ يتفحصُ الوجوهَ حولَه حتى اقتربَ أحدُهم منه وهو يبتسمُ ابتسامةً مصطنعةً ويحُكُّ فروةَ رأسِهِ ويضعُ سيجارةً على أذُنِهِ اليسرى وهو يتقدَّمُ نحوه قائلاً:

- أؤمر يا باشا، شوف أنت عايز إيه وأنا أخلصهولك، محسوبك "هيما فتلة" الأوفيس بوي ومعايا خلاصة الناس دي، أنت شكلك بيه محترم ومش قد البهدلة كفاية اللي حصلك لحد دلوقتي، أنا أقدر أخلصلك أي حاجة أنت عايزها، بس أنت بقى شوفني بأي حاجة.

رفعَ محمد على باشا حاجبَهُ مستغربًا كلمات هذا المتطفّل واستغرب من طلبِهِ الأخير فحاوَلَ إعادتَه له مستفسراً:

- أشوفك بأي حاجة؟ أنا ما عندي غير عينين اتنين يا

هيما فلاتات أنت.

ضحكَ قليلًا هيما فتلة ثم انقلب وجهه إلى الجمود وهو يقول:

- ههه حلوة بس ماتكترش منها عشان صحتك، تشوفني، يعني تشوفني بقرشين، إكراميتي، الشاي بتاعي يا باشا.
- أنت ما مفهوم كلمات، بتقول خرافات تعويذات، أنت بتعمل أسحار فالد؟

ينظرُ له هيما مستغربًا ثم يميلُ رأسه ويديرُ ظهره له وينصرفُ وهو يشيرُ بيديهِ بجانبِ رأسِهِ بشكلٍ دائري , فنظر له محمد على باشا وهو يقول في نفسه:

- كفاية عليا تزاحمات وتلاحمات وقفزات على الأرض وإهانات، أعطيه هذا الفالد دنانير ويسوي هو الورقيات.

فتقدَّمَ ناحيتَه وهو يصيحُ باسمِهِ:

- هيما فلاتات، أنت فالد تعالي.

يلتفت له هيما رافعًا حاجبه متسائلاً:

- عايز إيه يا عم، ربنا يشفيك مش نقصاك لسه الواحد ما استفتحش.

فاقتربَ منهُ محمد علي وقالَ وهو خافضٌ صوتَه ولكن بشيء من الغرور:

- عايز أخلص شوية ورقيات من غير إهانات، وبعطيك سُرة من الدنانير الحر، موافق هيما فلاتات؟

يظهر على هيما ملامح الفرحِ وهو يقول:

- دنانير!! .. الباشا كويتي؟ يا هلا بيك يا شيخ، وأنا أقول لا أنا فاهمك ولا أنت فاهمني، معذور والله يا شيخ، حقك عليا هلا هلا، اتفضل بعون الله، حاجتك مقضية زي المعلقة في مهلبية على رأي الأستاذ البوهيمي، أنت مقامك الريسة "عنايات" هي تخلصلك اللي أنت عاوزه من غير مشاوير.

تقدم هيما بخطوتينِ من محمد علي باشا وأخذهُ في ممراتٍ كثيرةٍ يتزاحمُ بها المواطنون على أبوابِ مكاتبِها حتى يصلَ لبابِ لا يقفُ عليه أحد ويطرقُ البابَ بضرباتٍ ثابتةٍ ليدخلَ مبتسمًا ويشيرُ لسيدةٍ في أواخرِ الخمسينات من عمرِها، تتعلقُ نظارتُها بطرفِ أنفِها وتتناثر الأوراقُ على مكتبِها بأسلوبِ الفوضى

المنظّمة، تُمسِــكُ هاتفَها المحمولِ وتتحدثُ فيه وعندما اقترب منها هيما وهمس لها بصـــوت خافت في أذنيها وهو يشــير ناحية محمد علي باشــا أصــبحت عيناها تتفحصُـــه بكثيرٍ من الريبة، وعندما انتهى هيما من همسِه لها، مالت برأسها ناحية هاتفها لتقول لمن تحدثه:

- مُنى أنا حقفل دلوقتي وأكلمك بعدين، اسـلقي المكرونة عقبال ما أخلص وأقولك الصلصة بتتعمل إزاي قبل ما أشرف دلوعة حماتك يجي، ألا صحيح هي حتجيلكم إمتى؟ .. يا روح مامي، عايز تعكنن عليكي وتشغلك وخلاص، حاجة رخامة، يلا سلام .. بس ماتفتحيش المسلسل لحد ما اجيلك ونشوف الإعادة مع بعض أنا عارفاكي تموتي في حرق الأحداث، طالعة لخالتك كانت مش بتهنيني على فيلم، كانت تخش السـيما مع طارق جوزها قبل ما أدخله أنا، وتقعد تحرقهولي وهي عارفة إني داخلاه، مش عايزة أقولك قبل كده كنت رايحة أنا وأبوكي فيلم الدرجة التالتة بتاع سعاد حسـني وأحمد زكي كان لسه ساعتها صغنن كده ومش معروف أوي يدوبك لســه لابسـين أنا وأبوكي ونازلين وألاقي خالتك في وشي ولســـــ .. بقولك إيه نكمل كلامنا كمان شوية أصل عندي شغل وإنتي عارفة مافيش غيري في المصلحة، يستلموني من ساعة ما أجي

لحد ما أمشـــي، نحالين وبري بدري بدري، إمتى الواحد بقى يطلع معاش وأخدك يا بت أنتي وجوزك مع إنه مايستاهلش بس عشان خاطرك أنتي ونطلع على الســاحل نقضــيها هناك من غير حماتك اللي تقعد بقى تتعوج علينا وتقول الشـوكة مش مغسـولة كويس، وأشــرف بيحب مش عارف إيه من إيدها، وأشــرف بيحب ياكلها كده بس، ونقعد بقى في أشــرف .. أشــرف .. لحد ما أشــرف من دمها هههههههه، يوه تلاقي المكرونة اتسـلقت كده هاتيها وحطيها في المصفى وهاتي برطمان الصلصة اللي أنا جايباهولك مش بتاع حماتك وحطي معلقـــ ...

انفجر السلطان محمد من صمته قائلاً:

- هووو كل دا بتنهي مكالمات، أومال المكالمات كانت إيه، ساعات؟ يا مرضعة البابجان.

تقف السيدة عنايات وتشيح بيديها له وتقول:

- أنا مرضعة البتنجان يا راجل يا بتنجان!!!

هنا يحاول هيما تهدئتها قليلًا وهو يقول:

- يا ســت الكل شـيخ طال عمره مايقصــدش، الشـيخ كويتي وجاي يخلص مصـــلحة هاه، واخدة بالك؟

مصلحة؟

صمتت عنايات ونظرت له ثم نظرت لمحمد علي باشا ثم قالت:

- أنا أسفة يا شيخ معلش اللي مايعرفك يجهلك، حقك عليا هات يا هيما للشيخ فنجان قهوة من البن بتاعي والفنجان يكون نظيف وبيلمع كده وإزازة ماية ساقعة من الثلاجة بتاعتي، يلا بسرعة يا هيما.
- من عينيا حضرتك أنتي والشيخ فوق راسي.

ابتسمت عنايات وهي تلتفت لمحمد علي الذي جلس على الكرسي أمامها مرحبةً به قائلةً:

- حضرتك منورنا ومنور بلدك التانية مصر، أؤمر حضرتك عايز إيه وأنا تحت أمرك، بس لعلم حضرتك أنا مش بصَدَّر نفسي في حاجة مش جايبة همها المهم المصلحة تعُم على الكل والكل يستفاد، وأظن أنا كده صريحة معاك.

يُميلُ السلطان محمد رأسَه موضحًا استيعابه لما قالتهُ:

- تشكرات تشكرات.
- أؤمرني يا جناب الشيخ.
- أنا عايز أستصلح أراضي الصحراوات وأعمل

زراعات، وحاقايض بثمن الأرض دي أرض كبيرة بقلعة وحديقات.

- قصد حضرك بضمان الأرض بتاعتك، لو حابب أنا ممكن أشـــوفلك أرض مطرفة ماحدش بيبص عليها ونطلع ورق باســـم جديد، ونقول برضـــه زي ما حضرتك بتحاول تقنعني إنك حتستصلحها، وماشي يا سـيدي حنسـتصـلاحها ونبورها ونبيعها مباني، العملية دي ربحها بيعدي الخمس أضـــعاف، المهم المصـــلحة تعُم على الكل والكل يســتفاد، وأنا في الموضوع دا مش باخد أقل من ١٠٪ من الإجمالي، وأرضك حنستغلها ونطلع على أساسها كام قرض حلوين، تمام كده!! المهم المصـــلحة تعُم على الكل والكل يستفاد، صحيح فين الأرض بتاعة حضرتك بقى؟
- القلعة.
- فين في القلعة حضرتك أكيد بعد المدافن بقى.
- القلعة .. قلعتي .. قلعة محمد علي.
- قلعة محمد علي؟!

قامت عنايات من مكانها وانقلب وجهها ١٨٠ درجة وظهرت عليها ملامح الافتراس والغضـــب فقالت صارخة:

- قلعة محمد علي مين يا ابن ....

وقفَ محمد علي باشـــا واحمرِّ وجهُه كالجمر من شِـــدةِ غضبِهِ قائلًا:

- غلط في أمهات؟!، غلط في أمهات حضــــراتونا يا منبع القاذورات!!!
- أنا قلت إنه بتنجان ومناخوليا وجنان من الأول.
- أنا محمد علي باشا يا مرضعة الباباجان.
- بلا محمد علي بلا أم علي .. يا إبراهيم!!

دخل هيما مسرعًا وخلفُهُ عددٌ من الموظفين وبعضٌ من المواطنين الشرفاء.

- امســـكوا الراجل المانخوليا دا لحد ما مســـتشـــفى المجانين تيجي وتاخده.

ينقضُّ رجُلين من الموظفين التـابعين لإدارة الســـيـدة عنـايـات على محمد علي باشـــا، ويحـاولُ هيما تهدئتها قائلاً:

- اهدي يا ســت عنايات ماتعصــبيش نفســك أكيد في حاجة غلط.

حاول محمد علي باشا الإفلات من القابضين عليه وقال صارخًا:

- سـيدة عنـايـات؟ دي من السـيـدات؟ يوك، من الحريمـات؟ يوك، دي من المحرمـات، يـا سـيـدة المرتشيات، يا فساد في فساد.

******

مِثلَمَا فعلَ محمد علي باشـــا فعلَ الدكتور مصـــطفى مشـرفة وخَرجَ مِن مَقرِّ إقامتِهِ الجبرية بعد الإفراجِ عنه إلى أقربِ مدرســةٍ حكومية، وكانت مدرســةُ ســميرة موسـى الإعدادية بنات هي سـعيدةُ الحظِّ بتلكَ الزيارةِ، وما أنْ مشى عدةَ أمتارٍ بجوارِ السُّورِ حتى تفاجَأ بحقيبةٍ ســوداء تســقُطُ عليهِ من أعلى، أدت لاختلالِ توازنِهِ قليلاً، واسـتطاع أن يسـتعيدَ تركيزه مرةً أخرى لينظرَ لأعلى ففوجئَ بسـقوطِ حقيبةٍ أخرى، وكانت أثقل قليلًا مما سـبقَتْها فأدت لافتراشِـهِ الأرضَ مُجبَرًا، ظَلَّ وعيُهُ يغيبُ تارةً ويعودُ تارةً أخرى وهو يشـــاهدُ حركاتٍ ضـبابيةٍ لأقدامِ شـخصـين يعْتلِيانِ السـورَ وينزِلانِ مِن عليـهِ حتى وقفَـا بجـانبِـهِ، حـاول أن ينهض، وبعـد عـدةِ محاولاتٍ نجحَ بصعوبةٍ واستطاعَ أن يقفَ متعكِّزًا على حائطِ السورِ بجانبِهِ، و هو يسـمعُ همسـاتِ الشـخصـينِ اللذيْنِ ما زالا واقفين بجانبِه، فأمسَـــكَ نظارتَهُ وأخرجَ منديلَهُ الخاص من جيبِ بدلتِهِ التي يجبُ أن يُعادَ عمليةُ تدويرها مرةً أخرى عندَ مغســلةٍ جيدة حتى تعودَ إلى ريعانِ شبابِها.

أعـادَ نظـارتـه أمام عينيِه مرةً أخرى بعدَ أن نظَّفَها جيدًا ليتفاجأ بأنَّ الشـخصـين اللذينِ قفَزا أمامَهُ مِن على سورِ المدرسةِ هما فتاتانِ تحملان الحقيبتين اللتين قبّلَا رأسَهُ

منذُ قليلٍ وكانَ افتراشُـه الأرضَ بسببهما، تغتصـبُ كلُّ فتاةٍ لبانةٍ بداخلِ فمِهَا فلا يُقبلُ أنْ يوصَفَ المشـهدُ بغيرِ ذلك، أخرجَتْ إحدى الفتاتينِ من حقيبتِها مِرآةً صــغيرة وقلمًا وظلَّتْ ترسِـــمُ بِه خطًّا حولَ عينيِها وفمُها مفتوحٌ على مِصـارعيْهِ وكأنَّهُ كهفٌ تستغيثُ اللبانةُ بداخِلِه فلا تجدُ من يجيب، أما الأخرى فأمسَكَت بزجاجةٍ صـغيرةٍ برأسٍ دوارةٍ مرَّرَتها على رقبتها ثمَّ أسـفلَ أنفِهَا وأعلى شـفتِها العليا وأخذتْ نفسًـا عميقًا لتسـتنشـقَ العِطرَ الذي احتفظـتْ بـأكثر كميـة منـه أمـامَ أنفِهـا لتكونَ أوَّل من يســتنشــقَهُ، وفي تلك اللحظةِ لاحظتْه صــاحبةُ زجاجةِ العطرِ لتشيرَ بساعِدِها لزميلتِها أن تنتَبِهَ لذلك الذي أفاقَ أمامهما واقتربَتْ منه ساخرةً تقول:

- مالك يا اسطى مش تفتَّح.

لمْ يسـتوعب الدكتور مصـطفى ما قالتْهُ الفتاة، فهل كان ذلك بسبب الصداعِ الشديدِ الذي احتلَّ نصفَ رأسِهِ أم أن السـؤالَ غيرُ متوقَّع، ظلَّ صــامتًا ينظرُ إليها فتنظُرُ لصـــديقتِهَا الأخرى التي ألقتْ بمِرآتِها في حقيبتِها مرةً أخرى واقتربت منه تقول:

- حاتمشي عِدل ولا حتنَّح

لمْ يجدِ الدكتور مصطفى إلا أنْ يرُدَّ هذا الاتهام والتهجم

الفج عليه بقولِه:
- أنتِ إزاي تنعتيني بتلك الألفاظ البذيئة، يا صعلوكة التعليم، يا فاشلة التقييم، يا أنثى القرد أنتِ وهي، تتسلقان سور المدرسة وتهربان.

ما كان من الفتاتينِ إلا أن دفعتاه ناحيةَ السورِ، ثمَّ بحركةٍ خاطفةٍ أخرجت إحداهُما من حقيبتِها مطواة فغرستْها في جانبِهِ الأيسر وقالت ووجهها يستشيطُ غضَبًا:
- مابحبّش الصوت العالي، ودي يا يدوب قَرصَة بسنّ المطواة مابتعملش نزيف، بس بتعلم عليك عشان تعرف تتكلم بأدب بعد كدا، أنا والقطة اللي ماسكاك حنمشي يمين وأنت للخلف دُرْ وكمّل طريقَك، لا بصة وراك ولا نَفَس.

كانت صدمةُ الحدثَ قد برَزَت على وجهِ الدكتور مصطفى؛ فَلَمْ يستطِعْ أن ينطقَ بكلمةٍ وقدْ احتبَسَتْ أنفاسُهُ بداخِلِه، واتسعتْ عيناهُ وهو يراقبُ حديثَ الفتاةِ له عندما قذفتْهُ بنظرةٍ قاتلةٍ تعبرُ عن كلِّ مشاعرِ الغضب والشر والتهديدِ الصريحِ بعد أن أنهَتْ حديثَها وانصرفَت من أمامِه، ظل الدكتور مصطفى لبضع ثواني على هذه الحالة، لمْ يستطِعْ أن يستوعبَ أن هذا

كلَّهُ قد حدَثَ له، وأنَّه صَـدَرَ من أطفالٍ لم يتعدى سـنُّهم أربعة عشر عامًا، فضلًا عن كونِهما فتاتين، عادَ لوعيِهِ مرةً أخرى بمشـــقَّةٍ واعتدل في وقفتِهِ وحاول أن يهندمَ ملابسَــهُ التي تهلهلت بسـببِ ما حدث، حاول أن يُخفيَ الثقبَ الذي تركَهُ سـنُّ المطواة بملابسِــهِ وأكملَ سـيره بجوارِ سـورِ المدرسـة وهو يسـمعُ صُـراخَ وصـيحاتٍ عـاليـة وكـأن بـالـداخلِ قطعـة من الأنـدلس يقـامُ عليهـا مجموعـةٌ من محـاكمِ التفتيشِ وهي تنفذُ أحكـامَهَـا على المسلمين.

رأى -مع ذلكَ الصراخ- غبارًا وأتربةً كثيفة تتطايرُ من فوقِهِ وكأن تلك البقعةِ هي مصدرُ رياحِ الخماسين التي تحتفلُ مصـر بعيدها كل عام في منتصـفِ الربيعِ لتغيّرَ كلمـات صـــلاح جـاهين في أغنيـة الســـندريلا للربيع "الحيـاة بقى لونهـا بمبي" لتصـــبح "الحيـاة بقى لونهـا بُنّي"، أخرجَ منديلًا من جيبِهِ ووضــعَهُ على فمِهِ وأنفِهِ وأسرَعَ في خطواتِهِ قليلًا وهو يسعلُ بشدّة، حتى وصلَ إلى نهـايـةِ الســـورِ ليقفَ أمامَ بوابةٍ كبيرةٍ عليها لافتةٌ معلقةٌ مكتوبٌ عليها "مدرسـة سـميرة موسـى الإعدادية للبنـات"، مد يدهُ وطرَقَ البـابَ فلم يرد أحد، فزاد من قوةِ ضـــربتِهِ قليلًا وأعادَ الطرقَ فلم يجبه أحد، زاد من قوة ضـــرباتِهِ وأطالَ فيها حتى سـمعَ صـــوتًا قادمًا من

بعيدٍ يقول:
- طيب مابورّاحة يا عم جاي.

بضـــع لحظاتٍ حتى ســـمع أصـــواتَ فتحِ عدةَ أقفالٍ واحتكاكَ سلاسلَ حديديةٍ كبيرة، وبعد الانتهاء من تلك الأصـــواتِ المزعجةِ فُتح الباب قليلًا ليخرجَ من ورائِه رجلٌ في الخمسينات من عمره يرتدي جلبابًا وينظرُ له متفحصًـــا ملابسَـــهُ، ثم تغيرت ملامح الرجل وقال متجهّمًا:
- خلاص يعني يا أســـتاذ مش قادر تصـــبر لحد ما الفُســـحة تخلص، دول بنات عفاريت وأنا لازم أقف على أكل عيشي، وعلى رأي عمنا الشاعر البوهيمي "عشـــان الممّ .. الكل يتلم" بس طبعًا مش زي بنت حضـــرتك، ربنا يباركلك فيها، هي في ســـنة كام عندنا؟

نظرَ له الدكتور مصـــطفى مســـتغرِبًا اســـتنتاجَهُ، لكنه استشف ما يقصده، فقرر أن يسايره حتى يُنهيَ ما جاءَ من أجلِه، فرد عليه مجيبًا:
- ســـنة تانية، حدخل أنا أشـوف مُعلِّمها الفاضـل وهو يباشر عمله، أستسمحك أدخل بعد إذنك؟
لم يســـتطِعْ عقل الرجل اســـتيعابَ ما قالَـهُ الدكتور

مصطفى، فظهرت عليه ملامحُ البلاهةِ لعدة ثوانٍ كانت كافيةً لمرور الدكتور مصطفى من أمامِهِ ودخولِهِ الممرَّ الذي يمُرُّ على القسمِ الإداري بالمدرسة حتى وجَدَ على يمينِهِ نافذةً مفتوحةً لمكتبٍ إداري يتكونُ من وَحدةِ أدراجٍ عتيقةٍ مصنوعةٍ من حديدٍ ينتمي بلا شكٍّ إلى بقايا الصاروخِ القاهرِ في ستينات القرنِ الماضي عندما بِيعَ كخردة هالكة، ومكتبٍ خشبيٍ ينتمي لتلك الحقبةِ من الزمن يجلسُ عليه رجلٌ خمسينيٌ يحاول أن يقلدَ هتلر النازي الذي لمْ يشبههُ إلا في شاربِهِ القصير، يرتدي بدلة أحدثَ قليلًا من مكتبِهِ ووحدةِ أدراجِه، يمسك بيده كوب شاي وبيده أخرى عود بقسماط مطرز بالسمسم ويغمسُهُ في كوبِ الشاي وهو في حالةٍ عاليةٍ من التركيزِ وكأنَّهُ الفنان نبيل الحلفاوي في فيلم الطريقِ إلى إيلات، ثم يخرجُهُ من الكوبِ وهو منهكٌ مما فعلتْهُ به موجاتُ الشاي، ثم يضع عودَ البقسماط في فمِهِ كأنه ساحرٌ هندي يعزفُ على المزمارِ لترقصَ أمامَهُ الأفعى، تظهر عليه علامات الاستمتاعِ والنشوةِ مما حصلَ عليهِ من البقسماطِ العجيبِ، ولم يقطعْ عليه هذه الحالةَ إلا اكتشافُه لنظرةِ الدكتور مصطفى الواقفِ خلفَ النافذةِ، حيث رأى في نظرتِه تطفلًا واقتحامًا لخلوتِهِ الشخصيةِ مما دعاهُ إلى أن يصيحَ فيه قائلًا:

- إيه يا أستاذ باصص للواحد في صوباع البقسماط

اللي بيشـــق بيـه ريقه، خلاص بقينا كده زي ما قال الشـــاعر البوهيمي "كل واحد حاشـــر مناخيره في حال غيره .. ورصيده في حمد ربه بقى زيرو"

قالها وهو يتقدمُ ناحيةَ النافذةِ ليكملَ شِـجارهُ مع الدكتور مصـــطفي الذي حاول أن يُلملِمَ شـــتاتَ تركيزهِ ويخرجَ من هذا الموقفِ المحرِج حتى قـاطعهمـا حـارسُ البوابةِ الذي جاءَ مســـرعًا فالتصـــق بالنافذةِ وهو يشـــيرُ إلى الرجلِ أن يقتربَ منـه ليخبرهُ بشـــيء مهمٍ وســـريٍ، وبالفعل اقترب منه وســـلم له أذنيه، كان واضـــحًا من إشـــارات يدي حارس المدرســـة أنه ســـيخبره بأشـــياءٍ تخصُّ الدكتور مصـــطفى، وكذلك من نظرات الدهشـــة التي ارتســـمـت على وجـه الرجـل وهو ينظر نـاحيـة الـدكتور مصـــــطفى الـذي اســـتغـل مـا يحـدث ليتحرك بخطواتٍ شبهِ سـريعةٍ ليبتعدَ عن هذا المأزقِ المجهولةُ عواقبُـه، ولكن بعـد خطواتٍ قليلـة يقفُ متفـاجئًـا ليجـدَ أمامَه نفسَ الرجل خارجًا من بابِ مكتبه ليوقفه قائلاً:

- مش كنت حضـــرتك تقولي إنك ملاحظ من الإدارة التعليميـة، أهلاً بســـعـادتك نورت المدرســـة.. مع حضـرتك الأستاذ عبدالعال ناظر المدرسـة، اتفضل حضرتك في مكتبي اشرب قهوتك.

وجدَ الدكتور مصطفى أن الموقفَ يتحسن بشكل أفضل مما سبق وهذا الوضعُ سوف يساعده على مواصلةِ ما جاءَ من أجلِه وهو أن يلمس المشـــاكلَ من قربٍ وأن يلاحظ جوانبَ خطورتِها وأن يحاولَ علاجَها بشـــكلٍ مباشــر، أدخَلَهُ الأســتاذ عبدالعال إلى المكتبِ وأجلسَــهُ على مقعدٍ أمام مكتبِهِ وصاح في الحارس قائلاً:

- رجب!!! .. تعالَ هنا شـــوف الأســـتاذ قهوته إيه؟ واعملها على مهلك بدون اسـتعجال، عايزين معاليه يستمتع بفنجان قهوة محصلش، هاه اتأنّى يا رجب.

كانت غمزةُ الأســـتاذ عبدالعال لرجب مفضـــوحةً جدًا للدكتور مصـطفى، وتغيير نبرة صـوتِه في عدةِ كلماتٍ محددةٍ لإفهام رجب رســـالةً لم تمر بســـلام على ذكاء الـدكتور مصـــطفى، ممـا جعلـه بعـد عـدةِ دقـائقَ من الترحيبِ الزائدِ أن يقطعَهُ بإشـــارةٍ من يده ليتوقف عن الكلامِ قائلاً:

- ممكن حضــرتك تتنتظرني هنا ١٠ دقائق وأرجعلك تاني؟! أكون ممنونلك.

لم ينتظر الـدكتور مصـــطفى رده وخرج من مكتبـه وعبدالعال في حالة ثباتٍ وجمودٍ لا يعرفُ هل يحاول مرةً أخرى تمديد حجزهِ معه في مكتبِـهِ حتى يتســـنى

لرجب أن يخبرَ الجميعَ بأخذ احتياطاتهم من تلك الزيارة المفاجئة، أم يظل كما طلبَ منه فنبرة الدكتور مصطفى لم تدل على شيء يطمئن القلب، أيقن إنه قادمٌ بهدفٍ واحدٍ يعرفُه جيدًا ويبحثُ عنه، فما كان منهُ إلا أن استجاب لطلب الدكتور مصطفى منتظرًا تحديدَ مصيره.

تحركَ الدكتور مصطفى ليمرَّ بينَ الفصولِ ويُصدَمَ من صُراخِ طالبة تارةً، ومن سُبابِ مُعلّمٍ تارةً أخرى، والعكس بالعكس إذ وجد صراخًا من معلمات وسبابًا من طالبات، ثم رأى أمامه سيدةً في أواخر الثلاثينات من عمرها عليها ملامحُ الغرورِ تنظرُ إليهِ باستعلاءٍ متسائلةً:

- إيه يا أستاذ مش عارف فصلَك ولا إيه؟

نظر إليها الدكتور مشرّفة متفهمًا لما رَمَتْ إليه فأجابها:

- آه أنا الأستاذ مصطفى مشرفة أستاذ العلوم الجديد، آسف على تطفلي على حضرتك، فين معمل المدرسة لو سمحتِ؟

اتضح على ملامحِ تلكَ السيدةِ أنها لم تفهم سؤاله، فهي لا تعرف هل كان جادًّا في حديثه أم كان ذلك من بابِ

السخرية منها، فرجعت برأسِها للخلف قليلًا ثم تفحَّصتهُ بنظرةٍ من إصبعِ قدمِهِ شعر رأسِه ثم مالت برأسِها قائلةً:

- ماشي يا أستاذ يا محترم، المعمل آخر الممر شمال، دا لو لاقيته مفتوح أصلًا أو استحملت ريحته!!
- متشكر جدًا على ذوق معاليكِ.

مال الدكتور مصطفى بيديهِ يحييها، وبعد خطوتين عاد إليها متسائلًا:

- أنا الأستاذ مصطفى مشرفة، حضرتك مش واخدة بالك من حاجة؟

نظرت إليه السيدة في لامبالاة لإجابة سؤاله الذي أثار غرورَها المثار تلقائيًا فقالت:

- سمعت على فكرة، وأنا الأستاذة رحاب مُشرِفة الدور.. في حاجة تانية؟!

حاول الدكتور مصطفى الانصراف وهو في حالةِ صدمةٍ مما سمعَهُ وحاول أن يمتصَّ غضبَه مبتعدًا عنها، لكن فضولَه أعادهُ إليها مرةً أخرى ليقولَ لها:

- اسمحيلي أسأل حضرتك سؤال أخير، هي مين سميرة موسى اللي المدرسة بتحمل اسمها؟

نظرت إليه بسخريةٍ مجيبةً سؤاله قائلة:

- آدي آخرة التعليم المجاني، هو دا اللي جابنا ورا، وأستاذ علوم قال، جهل بستات مصر زعيمات الثورة النسائية في مصر، "الكابتن سميرة موسى" حضرتك دي أول ست مصرية عدت المانش مع الكابتن مصطفى أبو هيف، ممكن تعتقني بقى أنا ورايا شغل، وتقفيل جمعية مش فاضية أثقف فيك!!

ألواحٌ من الثلجِ تساقطتْ بضراوةٍ على الدكتور مصطفى مشرفة وهو ما أدى إلى ثباتِهِ دون حركة مصدومًا مما سمع عن زميلتِهِ الدكتورة العالمة سميرة موسى إحدى رموزِ العلمِ الحديثِ على مستوى العالم ورائدة نظرياتِ الانشقاقِ النووي، أصبحت الآن "الكابتن" سميرة موسى!؟

لم تسعفهُ قدمُهُ في الانصراف فكانت خطواتُه بطيئة حتى وصلَ إلى بابِ غرفةٍ مظلمةٍ كئيبةٍ فوقفَ أمامها، كان في الغرفةِ رجلًا يقفُ أمام منضدةٍ خشبيةٍ عاليةٍ، يبدو من تحركاتِهِ أنه يقومُ بعملِ تجربةٍ لبعضِ الطالباتِ اللاتي لم يعيروه أي انتباه، فكل واحدة منهن في عالمِها الخاص تضعُ مساحيقَ التجميلِ أو تمسكُ بهاتفها النقَّال أو تشارك غيرها النميمةَ النسائيةَ القبيحة.

لم ينقذه من هذا المشهدِ سوى انفجارٌ هائلٌ قادمٌ من أمام

الأســـتاذ الذي يقوم بتجربةٍ أظهر هذا الإنفجارُ نجاحَها بكل تأكيد، فسـقط الدكتور مشـرفة على الأرض مغمي عليـه، وكـان آخر مـا ســـمعَه صـــوتٌ قادمٌ من إحدى الطالبات تقول:

- الله ينور يا أستاذ.

******

لم يكُن الدكتور مصطفى محمود أسعدَ حظًا من الدكتور مصطفى مشرفة أو محمد علي باشا ، بل كان أولَ من خرجوا من مقرِّ إقامتهم الجبرية وانطلَقَ إلى مستشفى القصر العيني بعدَ أنْ حاولَ أن يُخفي شخصيتَهُ قليلًا بارتداءِ جلبابٍ وغطرةٍ وعمامةٍ صعيدية الأصل ، وما أن عبرَ بوابةَ المستشفى حى احتلَّ صدرَهُ سعالٌ شديدٌ جعلَهُ ينتفِضُ من شدَّتِهِ حتى رقَدَ على الأرضِ قبلَ أن يرتطِمَ بها مغشيًا عليه.

سمعَ خطواتِ من يمرون بجانبِهِ وهمهماتِ بعضِهم عليه، ولكن لم يتقدم منهُ أحدٌ للمساعدةِ إلا بعد أكثرِ من ساعةٍ، شعرَ بيدٍ تمُسكُ بذراعه وتحاول أن ترفعه من على الأرض ،ثم شعر بذراعٍ تحيط بخصرهِ وتشدُّ عليه ليقفَ ثم يسمعَ من صاحبِ هذه اليدِ القويةِ صراخًا بصوتٍ عالٍ يصيح:

- أبويا يا جماعة، حرام عليكُم، حد يساعدني يدخلُه معايا الاستقبال.

لمْ يتدخل أحدٌ فزادَ في صياحِهِ واستمرَّ الحالُ كما هو والدكتور مصطفى مندمجٌ في أداءِ دورهِ دورِ المريضِ المغشي عليهِ- الذي سيمرُّ على مراحلِ عدةٍ حتى وصولِهِ إلى فِراشِه المُعَدِّ لعلاجِهِ أو هكذا كان يظن ،

لكنَّه تعجّبَ من هذا الشخصِ الذي تطوَّعَ لإنقاذهِ بعدَ أن أهمَلَـهُ الكثيرون لمدةِ ســـاعـةٍ على الأقلِّ وهو مفترشٌ الأرضَ تتغذّى عليهِ أشــعةُ الشــمسِ والذباب وتعجبَ أكثرَ لادّعـاءه وصُـــراخـهِ بـأنـه ابنـه يســتنجد بالناسِ للمساعدة.
ظنَّ الدكتور مصــــطفى أن هذا الرجل يمتلئ بـالطيبة وتنير شخصيتَهُ الشهامةُ والشجاعةُ وذلك بسبب ادعاءه بنوتِه له حتى يدخلَه المستشـفى، فبالتأكيد كان المشــهد صــــادمًا عندما رأى رجلًا مســـنًا تظهرُ على ملابسِـــهِ ملامحُ الفقر وهو ينـام على الأرض، ويتجاهله كلُّ من يمرُّ بجـانبِـه أو يثيرُ خوفَهم فيبتعدونَ عدةَ خطواتٍ عنه ثم يُكمِلونَ ســيرَهُم، وهو ما أثَّر على هذا الرجلِ النبيلِ حتى فعلَ ما فعل معه ، وتفاجأ الدكتور مصــطفى أكثر بعد صياحِ هذا الشـابِ عند مكتب الاستقبال بالمستشفى ليوفرَ له مكانًا في إحدى الغرف، ولم يكتفِ بذلك بل بدأ في التشـاجرِ مع موظفي الاستقبال الذين رفضوا دخولَ والـدهِ -أو الدكتور مصــــطفى- معللينَ ذلك بعدمِ توافرِ أسِــرّةٍ فارغة، حتى جاءتْ ممرضـــةٌ أربعينية ســمينة ترتسمُ عليها ملامحُ حمواتِ القرنِ الماضـي، فصـاحت في موظفِ الاستقبال قائلةً:

- خلاص يا بدوي اهدا، في سرير فاضي للحاج، وحّد الله وقول يا صبح.

ثم اقتربت من الشـــابِ فهمســـت له قليلًا فاتضـــح من طريقةِ حديثِهما أنه كان حديثًا سلسًا لا يشوبه شيء، ثم انتهى بإعطاءها شـــيئًا في ســـرعةٍ وخفة لتأخذه منه وتتفوقُ عليهِ في الســـرعةِ والخفة وهي تشـــيرُ له أن يتبعَها بوالدِهِ وهو يحمله، ثم أشارت لموظفِ الاستقبال وهي تنظر له نظرة مؤكدة لما ينتظره قائلة:

- حوَصَّل الحالة وأرجعلك.

شعَرَ الدكتور مصطفى محمود بأن فترةَ حملِ الشاب له قد طالت وكان ذلك بسببِ الممراتِ والأبواب والطوابقِ العدة التي مر بها مما جعله يقلق قليلًا ، أين هذا الفِراش الفارغ في تلك الدوامة التي تشـــبه متاهة البصـــمة الأســـطورية ، حتى ســـمِع أنينَ بابٍ حديدي يُفتَحُ في الردهةِ السفلية للمستشفى يكشفُ عن غرفةٍ بها فِراشًا ملوث بدماءٍ قديمةٍ لاصـــقة بملمســـهِ الجلد المتهالِك وكأنها عشـــقيته، وبجواره منضـــدة عليها عدة أدوات طبيةٍ لم تعرف طريقَ النظافةِ في حياتِها، وفي الخلف بعضُ الأجهزةِ الطبيةِ التي يبدو من كمِّ الأتربةِ والغبار عليها أنها بمرحلةِ الشيبِ والخرفِ والعجز ، ومصباح يتيم فقدَ براءةَ ضوءهِ منذ أمدٍ بعيد، لكنه يُضيء أجزاءً من الغرفةِ على كل حال.

وضـــع الشـــابُ الدكتور مصـــطفى على هذا الفراشِ

الملوث، وكانت الممرضـــة تُجري مكالمةً من هاتفِها النقَّال وهي واقفةٌ على بابِ تلك الغرفةِ تراقبُ الموقف حتى لا يشعرَ بِهِم أحد، أنهت مكالمتها وذهبت إلى هذا الشـــابِ كأنه يقومُ بدور مفتش الجمارك الذي لم تكفِهِ الرشـــوة فأخذ يفتشُ في ملابس الدكتور مصـــطفى، اقتربت منه فقالت هامسة:

- إيه يا جُمعة لاقيت معاه حاجة نعرف هو مين ولا إيه دنيته إيه؟

أجابَ عليها بعد أن توقفَ من عبثه بالدكتور مصـطفى قائلًا في سعادة:

- أبيض يا ورد يا بطة ، مش معاه ولا أي إثبات ولا ورقة نتيجة حتى، يعني جاهز للكشـــف، اســـتعجلي أنتِ الدكتور عاصم.
- حصل.. ونازل دلوقتي.

ثم اقتربت "فاطمة" أو كما لقبّها هو "بطة" في دلالِ أنثى وحيدِ القرنِ مستخدمةً مفاتنها الأنثوية هامسةً له:

- عايزاك تقرُص عليه المرة دي شـوية يزود نسـبتي باكوين تلاتة كدا.

فأجاب وهو مستمتع بلمساتِ يديها على وجهِه قائلاً:

- نسبتك لوحدك برضه يا أنانية أنتِ!! صدق الشاعر البوهيمي لما قال "عيش قرد وحداني .. ولا تعشق قلب أناني" هي بقت كده خلاص!!
- يوه يا جمعة هو أنا وأنت إيه؟ مش واحد؟

كان الدكتور مصطفى يختلس النظر خلال تلك الفترةِ ليراقبَ ما سيفعلوه به، لكن هذا المشهد قد أثار غثيانه أكثر من رائحة الموت المنتشرةِ في كل ملي متر بالمكان، لم ينقذه إلا ظهورُ شخصٍ فجأة على الباب يتأملُ هذا المشهد كأنه علاقةٌ محرمة دوليًا، فقال:
- إيه يا ست فاطمة اللي بتعمليه أنتِ والأستاذ جمعة دا ، دا مكان أكل عيش حضرتك الحاجات دي يا أساتذة تتعمل تحت السلم هناك أو في مخزن المعدات زي ما بعمل.

قال تلك الكلمات ثم انفجر ضاحكًا وتبعاه جمعة وفاطمة بعد أن أدركا أنه يمازحهما ، كان هذا هو الدكتور عاصم الذي اقترب من الدكتور مصطفى متسائلًا:
- إيه أصله دا وقعتوا عليه منين؟ عرفتوا عنه حاجة؟

أجاب جمعة متفاخرًا بنفسه:
- الحتة دي أبيض من كوباية السوبيا يا دكتور،

مافيش أي ورقة ولا أي إثبات شخصية، شكله كدا حد منضفه من زمن وتايه في ملكوت الله بقاله فترة ، لاقيته وقع من السما قدامي ، صبرت عليها لحد ما أتطمنت ولاغيت بطة بالليلة ، وهوبا هيصة ظيطة أبويا يا ناس الحقوني يا بشر والدخول الرسمي ويبقى حد يدور ورانا بقى.

يضع الدكتور عاصم يده على كتف جمعة مشجعًا له قائلاً:

- أحلى حاجة فيك يا جمعة إنك حابب شغلتك وبتعملها بضمير وزي ما قال الشاعر البوهيمي "حبة ذمة مع شغل بضمير مش حتشوف خير .. لكن حبة دناوة مع شغل ضمير تبقى الأول مش الأخير".

زادت ابتسامة جمعة تفاخرًا ثم نظر لفاطمة التي أشارت له بعينها مُلمحة لجمعة الذي فهم ما تعنيه فحك بيده اليمنى في منتصف رأسه وهو يقول:

- حبيبي يا دكتور، لكن أنا حابب أطلب منك طلب وإحنا داخلين على رزق أهو عشان يبقى من أولها وربنا يباركلنا فيه.

وقف الدكتور عاصم مستندًا على الفراش الذي ينام عليه الدكتور مصطفى ويميل رأسه قليلًا مع رفع

حاجبه الأيسر وقال:

- هات اللي عندك يا جمعة وجيب من الأخر.
- بص يا دكتور أنا ماقصرتش معاك في العيانين اللي شغالين باليومية مع طلبة كلية طب اللي تبعك، اللي بتطلبه بيجيلك ومش مختلف معاك في السعر لأن الأسعار مقننة من زمان.

ثم قاطعته فاطمة متسرعةً قائلة:

- حتى العيال اللي بيجوا من الولادات الشمال اللي بعملها أنا وأنت يا دكتور، عَرَقِي مش بتكلم فيه كتير، والأدوية وأكياس الدم اللي بنهربها برة أنا وجمعة وتستلمها مننا وتتصرف فيها، إحنا متفقين فيهم على تسعيرة واحدة.

قاطعها الدكتور عاصم غاضبًا:

- أنتِ بتقدميلي الـــCV بتاعك ، أنا قلت لجمعة هات اللي عندك فياريت تنجزوا انتوا الاتنين.

نظر جمعة لفاطمة، وفي جديةٍ وجّه نظرةُ للدكتور عاصم ثم أردف قائلًا:

- نصيبنا في العملية دي لازم يزيد ويرضينا قبل ما نبدأ شغل فيها، معلش يا دكتور دا حقنا وأنت راجل تعرف ربنا ومابترضاش بالظلم.

يحدق فيهما الدكتور عاصـــم معلنًا رفضَـــه لطلبِهِما المفاجئ في هذا التوقيت، ثم يزفرُ بتنهيدةٍ ويتحركُ ذهابًا وإيابًا أمامهما، وجمعة وفاطمة يراقبانِهِ من كثبٍ حتى توقف واســـتدار ناحيتهُما وهو يزفرُ زفرةً عاليةً قائلًا:

- مع إني مابحبش لوي الدراع ولا أعمل حاجة أنا مغصـــوب عليها ، إلا إني حوافق المرة دي، بس المرة دي وبعد كدا لينا كلام تاني.
- إحنا معاك في اللي تؤمرنا بيه، المهم أنا وفاطمة نبقى راضيين وحضرتك طبعًا ، مش يلا بقى أحسن أبويا الحاج يقلق في نومته.

يرد عليه الدكتور عصام ساخرًا:

- لا مترببي يا جمعة، دادي الحاج عِرِف يربيك، ادعوله بالرحمة بقى وإن ربنا يغفر له علي اللي عمله في حياته.
- أكتر ميزة فيك يا دكتور إنك عارف ربنا وبيتريح ضميرنا كدا وإحنا داخلين نشتغل.
- طبعا يا فاطمة إحنا بنريح الراجل الكبير دا من البهدلة والمرمطة اللي بيشـــوفها ونعجل بمعاد هو مســتنيه من زمان ، ربنا يجعله في ميزان حســناتنا

جميعاً.

وحينما اقتربوا من الفراشِ الذي يرقدُ عليه الدكتور مصـــطفى قام منه فازعًا يحاول الهرب، لكن جمعة وفاطمة تكاتفا عليه وسبقه الدكتور عاصم مغلقًا للباب، ثم اقترب منه وهو يُخرج من جيبِ معطفِهِ الأبيض حقنةً كبيرةً وينظرُ له مبتسمًا ثم أردف قائلًا:
- إيه يا جمعة مش تقولي إن الحاج والدك ليه في الأكشن!

فأمسكه جمعة بقوةٍ أشد وفاطمةُ تعملُ على ربطِ يديهِ ثم اقترب من وجهه الذي احتل الفزع والرعب ملامحه وهمس فيه قائلاً:
- ليه كده أدادي؟

******

وقفَ الزعيم الســادات محتارًا أمام خزانةِ ملابِسِــه التي لا تحتوي إلا على بدلتينِ أحدُهُما تشبهُ بدلتهُ العسكرية المزينة بالنياشين الرسمية والعسكرية، والأخرى بدلةٌ مدنيةٌ رســميةٌ رماديةُ اللونِ، أخذ ينظر لهما في حيرةٍ، أيهما ســـتكونُ مناسِـــبةً لخروجِهِ من إقامته الجبرية -والتي انتهت يوم أمس- لحضـــورِ الحفلةِ المقامةِ اليوم بميدان التحرير لإحياء ذكرى ثورة ٢٥ ينـاير وســـط شباب الأحزاب، وبرغمِ إلغاء الإقامةِ الجبرية إلا أنه لم يخرجْ مثلما خرج محمد علي باشا والدكتور مصطفى مشرفة والدكتور مصطفى محمود بالأمس. ظلَّ رقيبُ غرفتِـهِ يفكرُ في كـلِّ حـدثٍ من الأحـداث التي بـدأت بالاختفاء المفاجئ للثلاثي كريم وهشـــام وعلّام ومعهم أيضًا الكابتن صالح سليم والفنان رياض القصبجي، ثم فرض الإقـامـة الجبريـة والانعزال عن العـالم بشـــكل كـامل، وبـالأمس خرجَ بقيةُ الحكماءِ الثلاثةِ ولم يعودوا مرة أخرى.

كلُّ هذا جعلَ قرارَ خروجِهِ من غرفتِهِ قرارًا يصـــعُبُ اتخـاذه، لم يعكر صـــفو تركيزه إلا طرقُ أحدِهِما باب غرفتِهِ، والتي سمحَ السادات بدخولها ليجدَ أحد حراسِهِ المقيمين بجوارِ بـابِـهِ منـذ أن بـدأتْ إقـامتُـهُ الجبريـة، هؤلاء الحرس الذين لهم صـلـة قرابة الدم من أسـرة أبو الهول في الوقوف صـــنمًا صـــامتًا بلا مشـــاعر ولا

صـوت، متأنق دائمًا ببدلته السـوداء ونظارته السـوداء فلقد كـان هو خلال تلك الفترة ونيســـه والرقيب عليه، تقدم ناحيته عدة خطوات ثابتة ثم وقف جانبه منتصـــبًا قائلاً:

- العربيـة اللي حتودي حضـــرتـك الاحتفـال منتظرة معاليك تحت يا فندم.

نظرَ إليه الســادات بائسًــا وهو يُميلُ رأسَــهُ بالموافقةِ ليخرجَ الحـارسُ من غرفـةِ الزعيم تـاركًا إياه يرتدي ما يليق بـه ليخرج بعده بعشـــرة دقائق من غرفته مرتديًا بدلتهُ الرسميةَ رماديةَ اللون و القميصَ الأبيض ورابطة العنقِ السوداء ومعلقًا على ياقةِ بدلتهِ دبوسًا على شكلِ علم مصر صغير، فكان هذا ما اكتفى به من النيانشين، ثم اكتملت أناقتَه بارتداءه نظارته البنية، تقدَّم بخطواتٍ ثابتةٍ في الطرقاتِ والممراتِ حتى وصل لبوابةِ القصر الذي يقيم فيه ليجدَ سـيارةً سـوداء مرسـيدس يفتح بابها السـائق الذي لا يختلف في مواصـفاته عن مواصـفات الحارس الرقيب الذي تركه عند باب السيارة وهو يغلقه عليه، جلس وحيدًا بتلك السـيارة هو وســائقه فقط دون حارســه الرقيب الذي التفتَ الزعيمُ الســادات ناحيتَه والســيارةُ تبدأُ في التحركِ ليجدَه ينظرُ له ويشــقُ فمه بابتسـامة خفيفة، نعم ليسـت مكتملةً، لكنها ابتسـامةٌ على أي حال وهذا ما جعل الزعيم الســادات متوترًا أكثر ،

مرت دقائق ليســـت بالقليلة حتى اقتربت الســـيارةُ من مكانٍ قريبٍ من ميدانِ التحرير، فالشـــوارع والطرق شـبه فارغةٍ بسـببِ العطلة الرسـمية ، عطلة رسـمية للأبدانِ والعقولِ والضـمائرِ أيضًـا ، بدأ يسـمع هُتافاتٍ وصـيحاتٍ مشـوشـةٍ لم يفهمْ معناها بشـكلٍ دقيقٍ ولكن كلما تحركت الســيارةُ قليلًا، قلَّ تشـــويشـــها وازداد الصـوت وضـوحًا، حتى توقف سـائق السيارةِ بالقرب من بوابةٍ تابعةٍ لتنظيمِ الميدان، والذي يقع بجوارِ تمثالِ عبدالمنعم رياض قائلاً:

- دي أقرب حتة أقدر أنزل معاليك فيها.

ينظر لـه الســـادات ويُميلُ برأسَـــهُ موافقًا ويخرجُ من الســـيارةِ وهو يلتفتُ حولهُ يمينًا ويســـارًا وهو يســـمع هُتـافـاتِ الجمـاهيرِ التـي، تلـك الهتـافـات الوطنيـةِ القـديمـةِ وغيرها المســـتحدَثة أخيرًا ، وإذ فجأة قطعَ طريقَهُ إلى البوابةِ شــخصٌ، كأنه قطارٌ يعبرُ مزلقان شــبرا لســكة الحديد، ليوقفه، يرتدي الرجل نظارةً زرقاءَ ذات إطار فقط دون عدساتٍ زجاجيةٍ يطيل لحيته قليلًا حالقًا شعره بمبدأ الشــاعر البوهيمي "كيف تكون على وضـــعك وبالعُمق تحيا .. إهري زيي بكلام موزون وأطلق سيكا اللحية"، صاح في الزعيم السادات قائلاً:

- بطل الحرب والســلام.. بطل البيانات والكنيســات،

زعيم الزعاميم الباشا أنور السادات ، باشا بنفسه وصل وصل.. الريس وصل يا خلق.

ينظر له السادات مصدومًا من هذا الترحيب الغريب المبالغ في كل كلماتِهِ، ويُخرج من جيبه غليونه وباليد الأخرى يُخرج علبة الثقاب وما أن بدأ في إشعال عود الثقاب وهو ينظر لهذا المبالغ فيه حتى وجده يقفزُ أمامه ويقول منتشيًا في صيحة أخرى مبالِغة:

- "أنا ولاعتك أنا كبريتك .. أنا المصري أنا حفيدك .. أنا اللي تقولي أولع بيك .. وأَطفي سيجارتي في أيدك" .. الله الله عليا ، هو أنا أطول يا معالي الزعيم، مع حضرتك شاعر الفلوكة والمصنف الأربعتعشر محليًا في تنويع القوافي، الشاعر "أبو نسمة العالي".

صافح السادات يد أبو نسمة الممتدة أمامه في عجالة، وحاول أن يعبرَ نقطةَ توقفِهِ إلا أن أبو نسمة أصر على إشعالِ غليونِ الساداتِ بنفسه، مما جعل السادات تحت إلحاحِهِ ينصاع له، وبعد أن أشعلَهُ حاول السادات تجنبَهُ وتجاهلَهُ دونَ أن يعطيَه أي اهتمام زائدٍ إلا أن أبو نسمة تقدمه بخطواتٍ مسرعةٍ منتشيةٍ تظهر عليه علامات الانبهار الزائد، إلى أن قابلهما أربع أفرادٍ ترتسم عليهم

ملامح الجمود، ما جعل الســـادات يتريثُ في خطواتِهِ قليلًا، إذ أن الشـــك المســـيطر عليه منذ الأمسِ مازالَ يتحكمُ بنســـبةٍ كبيرة من انفعالاته، ولكن عندما وصـــلوا إلى أبو نسمة المتقدم عن السادات بعدة خطوات توقفوا معه وظلوا يهمســـون له ويهمس لهم وينظرون ناحيتَهُ ويحدقون به جميعًا، اســـتمر هذا المشـــهدُ بضـــعَ دقائق وغليون السادات جمرة نارٍ من قوة وسرعة تدخينِهِ له، تقدم أبو نســـمة من الســـادات بعد أن أنهى حديثه مع هؤلاءِ الرجال، نظر له بنظراتٍ حائرةٍ قليلًا ثم قال:

- مش حينفع حضـــرتك تخش كدا عشـــان الشـــباب عـايزين يتكلموا بحريـة وكـل الأطيـاف تقول بياناتها ومايكونوش خايفين من حضـرتك أو الناس تفتكرهم موجهين من معاليك.

تذمر السادات ولمعَ في عينيهِ صخبُ غضبِهِ فقال:

- لما هما خايفين ومتوجسين مني بعتوا لي دعوة ليه؟ همـا فـاكرين إن الشـــعب حيصـــدق إني متواطئ معاهم، بلغ الشـباب الحزبي احتجاجي الرسـمي لما طرأ منهم، السلام عليكم.

التفت الســـادات مفكرًا أين يذهب الآن تاركًا أبو نســـمة واقفًا صـــامتـاً، ظلّت الحيرةُ من عقلِ الســـادات حتى

خرجت بعدةِ تساؤلاتٍ وهو يخطو خطواتٍ ثابتة بعيداً، هل يعود مرة أخرى بقدميهِ إلى محبسِــــهِ بعد أن خرج منـه وهو لم يتبق في حياتِهِ الثانية إلا عدة أيام قليلة؟ لم تَطُل تلك اللحظات وذلك بسـبب ظهور أبو نسـمة مرة أخرى أمامه قاطعًا طريقه قائلاً:

- معـالي الزعيم أنـا بعتـذر لـك بـالنيـابـة عن جموع الشـباب الحزبي وبستأذنك إنك تحضـر وتسـمعهم، شـوف وصـل فكر حضـرتك ليهم ولا لسـه من غير حتى ما تكون ظاهر في الصـورة بشـكل مباشـر، أنا عارف قد إيه حضــرتك عايز تسـمعهم وإن برنامج معاليك فاضي دلوقتي لأنك كنت حاجزه للمؤتمر دا.

ينفخ السادات دخانَ غليونِه ويقولُ له في حدةٍ:

- ممكن توضح قصدك إيه؟

يبتســم أبو نســمة ابتســامة ماكرة ثم يهمس للســادات ببعضِ الكلماتِ التي تنال الدهشــةَ ثم القبول من الزعيم السادات، وبعد عشرين دقيقة تشتعلُ الحماسةُ في ميدانِ التحريرِ، ويتهـاتف على المنصـــة شــبـاب الأحزاب المختلفـة يتنـاوبون أدوارهم في إلقـاءِ البيـانـاتِ والشــعاراتِ الحماســيةِ التي تُلهِبُ صــحوةَ الجماهيرِ، ووســطَ هذا الزخم على المنصــةِ يقف أبو نســمة بين

العشـرات من الشـباب وبجوارهِ السـادات متخفيًا تحت مِعطفٍ أسودٍ كبيرٍ بغطاءِ رأسٍ يغطي منتصفَ وجهِه، أصبح في قلب الحدث يسمعُ الهُتافاتِ والبياناتِ ويشاهدُ انفعالات الشعب عن قرب ويستنشق دخان غليونه الذي استعاره منه أبو نسمة وانهمر في التدخين به زاعمًا أن ذلك من أجل ألا يلفِتَ الانتباه له، وبعد عدة دقائق وتناوبِ الخطاباتِ بين بعضِ الشـباب على المنصـةِ، مال أبو نسمة ناحية السادات هامساً:

- دا دوري.. أنا حطلع أقول القصـيدة بتاعتي حاول ماتتحركش من هنا يا معالي الزعيم.

مال السادات برأسِهِ موافقًا وظل يراقبُ أبو نسمة وهو منخرطٌ بين الجموع على المنصـةِ حتى وصـل إلى إحدى أركانِها لإلقاء قصيدته، فأمسك بالميكرون وبدأ حديثه يقول:

- راح أقول قصـيدة من قلب قلبي الجواني .. أخوكم الشاعر أبو نسمة العالي.

"حنـديكي يا مصر حقك..وعلى حقك حديكي تِيبس
وأنتِ حقـك زي أرضك..وإحنا أرضـك وليكِ ورث
ورث من أيـام الفـراعنة..كانت أرضك تصـرخ
تحـس
ولا خـاين عـرف يبيعك..حتى اسألوا ديـليـسبس"

وما أن نطقَ بأخرِ كلمةٍ حتى ظهرت عشراتُ الأسلحةِ الناريةِ في وسط الصفوفِ الأولى من الجماهير لتمطره بوابلٍ من الرصــاص على المنصــة التي كانت بدورها أيضًــا مسـتعدةً لمثلِ هذا الموقفِ، فتحولَّ الشـبابُ على المنصـــــةِ إلى قتلــةٍ مـأجروين يردون بوابـلٍ آخر من الرصــاص، ووســط هذا المشــهد كان الزعيمُ الســادات مفترشًـــا الأرضَ يحتمي بـأحد ألواح الإعلانـات التي كـانت مثبتةً على المنصـــةِ، ثم اقترب منه أبو نســـمة زاحفًا ناحيتهُ متسائلًا في لهفة:

- حضرتك بخير؟

يتقدم الســـادات زاحفًا إليه وهو يفتح زرارَ قميصِـــهِ ورابطـةَ عنقِه من تحت معطفِه الأســـود ويشـــير إلى القميص الواقي من الرصـــاص فيرد عليه أبو نســـمة فرحاً.

- الحمدلله إن حضرتك لابسه.
- هو إيه ده؟
- القميص يا معالي الرئيس.
- ربنـا يخليكِ يـا جي جي، يا ابني لا يلدغُ المؤمنُ من جُحرٍ مرتين، متخيل بقى مرتين، مرتين يا كفرة.

******

جلسَ على مقعده الخـاص بمكتبِـهِ الفـاخر يُقلـبُ قلمَـهُ الذهبي بين أصـابعهِ، ويده الأخرى تسـتريح على طبقٍ من التحف الزجـاجيـة الأنيقـة كل فترة من رحلتهـا إلى فمِهِ حتى يســـتنشـــق منها دخانَ تبغِهِ الخاص، وعيناه الجاحظتان تنظران كل بضـع ثواني إلى سـاعة الحائطِ الكبيرة في منتصـــفِ الغرفة أمامه ليتأكد أنها تتحركُ وأن صـوتَ ضـرباتِ ماكينتها المنتظمة الرتيبة المملة ماهو إلا إثبات أنه ما زالت على قيد الحياة، دقات قلبهِ تتسابق مع قفزاتِ قطراتِ عرقِ جبينِه، إعلان رسمي عن حالةِ توترٍ وصلت إلى ذروتها، حتى سمع ضرباتٍ ثابتةً على بابِ مكتبِهِ مما جعله يخطف آخر ماتبقى من دخان تبغِهِ الخاص بشكل سريع وكأنه ترياق الحياة ثم عدّل من جِلســـتهُ قليلًا وأخذ نفسًـــا عميقًا لتتبعها زفرة كبيرة هادئة، وأذن للطارق بصوته الرخيم قائلاً:

- أدخل.

ظهر أمامهُ الرائد سامح متأنقًا ببدلتهِ العسكريةِ وبريقُ السعادةِ يظهرُ من عينيه وشفتيه، وبعد أن انتصب أمام مكتبِ اللواء طارق وأعطاه التحيةَ العسكريةَ حتى أشارَ لهُ بالحديثِ، وزادت عيناه اتساعًا من أثر شغفِهِ وتوترهِ اللذان لم يستطع إخفاءهما قائلاً:

- إيه يا طارق؟ إيه الأخبار؟

رد سامح مبتسماً:
- الملف خلاص يا باشـــا اتقفل خالص وكأنه ما اتولدش من الأســاس، ومن غير ما نكون سـبب في نقطة دم واحدة معاليك.
نظر إليه متعجبًا ورد عليه متسائلاً:
- إزاي يا ســـامح؟ أنت عارف إن إمبارح يعتبر على كلام العيـال بتـاعـة التنظيم إيـاه هو تـاريخ نهـايـة التعويذة ورجوع العفاريت دي للتماثيل تاني، والدنيا هس هس والإعلام والبلد مافيش ولا خبر ولا كلمة، عايز أفهم اللي حصـل من سـاعة ما اسـتلمت الملف دا بشكل شخصي لحد دلوقتي.

نظر إليه محذرًا يقول:
- كل تفصيلة يا سامح سامعني، كل تفصيلة.

مال ســـامح برأســـه موافقًا ومرحبًا بطلبِهِ وبدأ حديثهُ قائلاً:
- أنـا لمـا كلفتني حضـــرتـك بـإني أنهي المهمـة دي، فكرت إزاي نقدر مش ننهيها، بس فكرت إزاي نقدر نلغيها من الأســاس وكأنها ماحصــلتش أصــلًا، ودا عدى بحوالي أربع مراحل لو تســمحلي أوضـــحهم لحضرتك على اللوحة.

أشـــــار لـه اللواء طارق بالموافقة، فتقدم ســـــامح ناحيةَ اللوحةِ البيضـــاء ليقوم بشـــرح كيفية غلقِهِ لهذا الملف، وأمســـك بالقلم وكتب ٤ كلمات (الظل – الكماشـــــة – البوستة – السينما) وبدأ في الشرح قائلًا:

- زي ما حضـرتك شايف أنا حبيت أسميهم بالأسامي دي دليـل على نوع المرحلـة ونوعيـة الشـــغل اللي قومنـا بيـه، المرحلـة الأولى كـانـت "الظـل" ودي مرحلة المراقبة لأفراد التنظيم بشـــكل مكثف ودقيق جدًا وبجميع التقنيات المتاحة ودا ابتدى لما كشـــفوا نفســـهم في اجتمـاع المســـوخ بتوعهم مع مجلس الـوزراء ولـمـا عـرفنـا إيـه اللـي بيخططوا ليـه والقرارات اللي نـاويين يعلنوها على الشـــعب، ودا كان حيتســبب في بلبلة إحنا في غنى عنها، فخلاني أتجه للمرحلة الثانية.. "الكماشة".

ودي ابتدت بحجز أفراد التنظيم قبل ما يبثوا البيانات الرســمية من مجلس المســوخ بتاعهم والتحفظ على البيـانـات دي وفرض الإقـامـة الجبريـة على مجلس المســوخ وقطع علاقتهم بالإعلام بشــكل نهائي، أما رجـالتنا في الإعلام عرفوا يلهوا الناس بعصـــفورة تانية خلال الفترة دي على شـــاكلة "تســريب فيديو فاضـح لفنانة مشـهورة – ظهور القرش في الفيوم –

الساحر اللي قتل عياله – واحدة مسلمة هربانة من جوزها في الكنيسة – إلخ" والإنسان بطبعه نسّاي والإنسان المصري بقى إنسان أصيل أوي، ولما قريت البيانات المتحفظ عليها من مجلس المسوخ وشوفت قد إيه فيها خطر كبير على كيانات ومؤسسات كبيرة أخطر ما خطرها علينا، جه وقت المرحلة التالتة "البوستة".

ودي كانت ظرف بنسخة من البيانات دي للكيانات الكبيرة اللي مصالحها حتنداس في أول يومين من تنفيذ القرارات أو مجرد الإعلان عنها، ودا كان الاتفاق على إنهم ينهوا الموضوع دا بطريقتهم وبدون تدخل مننا قصاد إن البيانات والقرارات دي تنعدم، وإديتهم مدة أسبوع يفكروا وفي نهاية المدة الرد كان بالموافقة وبالإجماع ودا خلاني وصلت للمرحلة الرابعة "السينما"، وهي إني كنت براقب وأتفرج من بعيد على كله بيتحرك في حدود الشاشة اللي أنا محددها وبس.

نظر إليه اللواء طارق مستمتعًا بحديثِهِ وأشارَ له بأن يكمِل:

- ثقتي في الكيانات دي وقد إيه هي حتخاف على مصلحتها لإناه استثمارات بالمليارات واللي هي بالتالي بتصُب في مصلحة البلد، هي كلها مركب

واحدة والكل ليه وظيفة عليها المهم إنها ماتغرقش، كانت خطتهم فوق الممتازة الفكرة قامت إنهم يحطوا كل مسخ من المسوخ في قاع فساد كل قضية كان متخيل إنه يقدر يحلها ويلمس فساد الأفراد اللي حواليه وإن الموضوع مش مستشار ولا زعيم هو اللي حيحل وإنك حتى لو كنت العَالِم في مجالك فدا برضه مش كفاية، وكل دا يتم من خلال واحد أو بإسمه الكودي "الثعلب" اللي حنزرعه قدامهم وهو اللي حيحركهم زي الماريونت ولكل شخصية فيهم كان ثعلب مختلف، الفكرة كلها إنه يخليهم يختاروا بإيدهم نهاية فاشلة لهم وللتجربة دي، نهاية تتوثق عشان ماتتكررش تاني، الفكرة كلها في اليأس القاتل والإحباط الشديد.

نظر إليه اللواء طارق ساخرًا يقول:

- يأس وإحباط غريبة دي، هو حصلهم إيه بالظبط؟
- حأقول لحضرتك يا فندم نبتدي بالمسخ محمد علي باشا اللي لاقوه رجع صنم بعد انتهاء فترة التعويذة في مطار القاهرة الدولي وهو بيحاول يهرب على تركيا بباسبور مزور بمساعدة الثعلب "هيما فتلة"، ومسخ الدكتور مصطفى مشرفة رجع صنم متعلق في مشنقة بعدما شنق نفسه في معمل مدرسة الكابتن

سميرة موسى الإعدادية بمساعدة الثعلب "عم رجب البواب"، ومسخ الدكتور مصطفى محمود لاقوه رجع صنم في بدروم مشرحة القصر العيني بس ناقص من جسمه الكليتين والمخ والقلب ودا تم بمساعدة الثعلب "جمعة"، أما عن مسخ الزعيم السادات لاقوه رجع صنم في حوش بيت جده القديم في قرية ميت أبو الكرم بعد ما هرب من محاولة اغتياله الفاشلة على المنصة في ميدان التحرير بمساعدة الثعلب "أبو نسمة"، أما مسخ الكابتن صالح سليم للأسف دا مات قبل مايتحول صنم بفترة، كان بيحاول يهرب من جمهور الألتراس اللي بيحبوه جوه ممرات إستاد القاهرة ومات نتيجة للتدافع ماستحملش، ومسخ رياض القصبجي للأسف برضه مالحقش يرجع صنم وده لإنه ماستحملش فقرة الترحيب اللي عملها ٣ أمناء قسم المرج عليه في غرفة الاستقبال لما لاقوه بيحوم حوالين القسم ودا لأنهم بيشوفوا شغلهم على أكمل وجة يا فندم وطبعًا الوفاة نتيجة لسكتة قلبية طبيعية جدًا يا فندم.

وقف اللواء طارق فخورًا والسعادة تملأ جميع عضلاتِ وجهِه وبدأ بالتصفيق للرائد سامح الذي رد عليه بالتحية العسكرية قائلاً:

- كل دا تم تحت توجيهات وإرشـــادات حضـــرتك يا فندم.
- بجد يا سامح حاجة تُحترم، الداخلية كلها فخورة بيك يا حضــرة المقدم ســامح ودي حتسـمعها عن قريب جدًا.

صافحَه اللواء طارق وأشارَ له أن يجلسَ قال له:
- ماقولتليش.. بالنسبة لأفراد التنظيم دا عملت فيهم إيه؟!

وقف الرائد سامح من جلسته قائلاً:
- تسمحلي حضرتك أفتح الباب.
تقدم سامح في اتجاه الباب ليفتحه، وأشار لاثنين ليدخلا الغرفة، ووقف بينهما قائلاً:
- دول معــاليك آخر الثعـالـب في اللعبـة دي، الفنــان شــريف والباشـمهندس نبيل اللي سـاعدونا كتير في الفترة اللي فاتت دي غير إنهم ســـلمونا كل حاجة تخص التعويذة من فيديوهات وملفات صــوتية عنها وإزاي تم اســتخدامها، اللي يحب البلد يا باشـــا مايبخلش عليها بمعلومة.

مال اللواء برأســه مفتخرًا بما وصـلَ إلى حوذتِهِ، ولكن ألحَّ في عقلِهِ سؤالٌ وأرادَ الإجابةَ عليهِ قائلاً:

- أومال باقي التنظيم عملت فيه إيه يا حضرة الظابط؟!
- تم الإفراج عنهم بعد احتجازهم ٤٨ ساعة يا فندم، إحنا دورنا إنتهى هنا معاليك.

ضربَ اللواء طارق بيدهِ على المكتب وانقلب وجهُه ١٨٠ درجة، من شدة الفرحة والنشوة إلى قمة الغضب والثورة قائلاً:
- تم الإفراج عنهم إزاي يا حضرة الظابط، دول أعضاء تنظيم هدد الأمن العام للدولة، إزاي يا رائد سامح.. إزاي؟

أخذَ سامح نفسًا عميقًا وهو في قمةِ الاسترخاءِ، ورد مبتسمًا في قمةِ الثباتِ وقال:
- ماتقلقش حضرتك، الكيانات هي اللي إتعاملت، وبعد بحث دقيق تم العثور على أجزاء منهم.

صمتَ اللواء طارق قليلًا يحاولُ أن يستوعبَ ما قالَهُ الرائد سامح، ثم ازدادت حدقة عينه اتساعًا وعلت منه ضحكات عالية شاركه فيها الرائد سامح، بينما الشخصينِ الآخرين تلمع عيونهما من الرعب المميت.

******

نعود مرةً أخرى لعمّ تواب الذي تتباطأ ســـرعةُ دقاتِ قلبهِ وهو يرى قطيعَ الكلابِ تلتهمُ وجبتها المسائية من نهش ثلاثة جثث لثلاث شـــبابٍ عراة، فخرجت منه أنة لم يستطِع أن يكتمَهَا بداخِلِه وكانت هي ذنبه الوحيد في تلك الليلةِ من المذبحة التي التفت على أثرها الكلب قائد القطيع ناحيته، فتعرف على شـــاهدِهِ الوحيدِ على تلك الجريمة البشـــعة، كانت خطواتُه الثابتةُ في اتجاهِهِ ونظرةُ عينيهِ المفعمةِ بالشر وشلالُ اللعابِ المتساقطِ من بين أنيابه، كلُها إشـاراتٍ واضـحةً إلى أنه سـوف يجعله يشاركُ في هذا العشاءِ كفريسةٍ رابعة.

حاولَ عم تواب أن يهرب، لكن قواه أصبحت أضعف وقلتْ سرعةُ دقاتِ قلبهِ أكثر وأصبح وجهُه يتساقط منه العرق وأنفاســـه يعلو صـــوتها دون حاجز، يحاولُ أن يبتعدَ زاحفًا إلى الخلف بشـــكل عكســـي والكلب يتقدم ناحيته وصوت زمجرته يتسابق مع أنفاسه الكريهة، حاول أن يقذفَ عليه ما يملكه، تارة طعامه وتارة غطاءَ رأســه حتي الكتبَ التي يستخدمُها كوسادة له، لكن ذلك لم يجعل الكلبَ يتنحى عن طريقِهِ إليه، لم يحتفظ إلا بالكتاب الذي يحتضـــنه طول الوقت، حتى أصـبح الكلب على مسـافة لا تزيد عن مترٍ واحد وعم تواب راقدٌ على الأرض، وإذ فجأةً وجد الكلبَ يقفزُ

عليه فلمِ يجد عم تواب إلا أن يضـــربه بكتابِهِ على فكِّه ضـربةً جعلتهُ يسـقط بجانبه والكتاب يفلت من يده ليقع بجانـبَ قدمِ الكلـب، حـاول أن يزحف إلى الكتـابِ حتى يســـتعيده، وما أن لمسِ أطرافَ غلافهِ حتى وجد أنيابًا تنغرسُ في عنقِهِ معلنـةً وجود فتحةٍ لخروج الروحِ من هذا الجسد ويده ترتعش على غلاف الكتاب الذي تلوث بقطرات دماءه، غير أن عنوانه ظل ظاهرًا بشكلٍ كبير وهو

"ديوان شعر بالعامية"

للشاعر
تواب عبد الله
"الشاعر البوهيمي"

أنهى عـازف البيـانولا كلمـاتُـه وأوقفَ دورانَ المقبضِ لتتوقفَ الموســـيقى عن ذبذبـاتِهـا، ويلتفتُ حولَـه ليجدَ الشـارعَ خاويًا من البشر، أبواب البنايات مغلقة، النوافذ مغلقة الكل في حالة سُباتٍ بعدما أشـرق ضـوءُ القمرِ عليهم وتركوا هذا الفنان وحيدًا يعزفُ معزوفتهُ ويروي حكايتَهُ وحيداً، وعندما استوعب ما حدث وهَمَّ في جمعِ أغراضِـه تفاجأ بصـوتٍ مرعبٍ قادمٍ من بعيد، صـوتٌ يعرفُهُ جيدًا إنه... نباحُ كلبٍ كبير...

تمت بحمد الله

انتظروا العدد الثاني من سلسلة روايات "عازف البيانولا"
بعنوان
"الـــدُوّار" (نَبيِ هذا العَصر)